فن الجناس
فى القرآن

الطبعة الأولى

١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

فن الجناس
فى القرآن

الدكتور
محمد السيد موسى
كلية التربية - جامعة المنصورة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وسيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين . . « اللهم إنا نعوذ بك من التكلف لما لا نُحسن ، كما نعوذ بك من العُجْب بما نحسن ونعوذ بك من السلاطة والهَذَر ، كما نعوذ بك من العيّ والحصر . وقديما ما تعوذوا بالله من شرهما ، وتضرعوا إلى الله فى السلامة منهما »[1] .

فمما لا شك فيه أن علم البلاغة يحتل مكانة مرموقة فى صرح اللغة العربية وفى طودها الشامخ ، فكثيرا ما تمثل بها أرباب الأقلام وأصحاب الصناعات ، ووصلوا إلى بغيتهم من أوجز بناء وأخصر طريق .

وقديما - وما زالت - البلاغة عدة المقاتلين فى ساحة الكلمة ، فهى أداة الكاتب والشاعر والخطيب ، وهى من أهم أدوات المفسر الذى يقف أمام القرآن الكريم بعد أن يكون مستوعبا لآياته « ومعانيه المتقابلة ، ولأقوال الرسول والصحابة والتابعين فيه ، وبعد أن يتقن العربية ، ويتعمق علوم الشريعة . وبعد علمه الدقيق بدلالات الألفاظ فى القرآن ، وتذوقه لخصائصه البيانية »[2] .

ولا شك « أن القرآن الكريم قد أثر تأثيرا بالغا فى نشأة البلاغة ، فقد عكف العلماء على دراسة القرآن والبحث فى سر إعجازه »[3] فخرجت الدراسات العديدة التى تكشف عن أسرار القرآن الكريم وتخوض فى خضم بلاغته .

وقد احتل البديع مكانة كبيرة فى فسطاط علم البلاغة ، لما له من سحر بيّن

(١) الجاحظ - البيان والتبين - تحقيق عبد السلام هارون - بيروت - دار الجيل ج١ ، ص٣ .

(٢) د. شوقى ضيف - تفسير سورة الرحمن وسور قصار - القاهرة - دار المعارف - ١٩٨٠ م - ص٨ .

(٣) د. عبد القادر حسين - المختصر فى تاريخ البلاغة - القاهرة - دار الشروق - ط١ - ١٩٨٢م - ص٨ .

فى نفوس الأدباء والنقاد ، فقد كان المتكلم المبدع يقبل عليه ليغترف من فيضه ، ولكنهم لم يكونوا على وتيرة واحدة إزاء هذا البديع الذى كان يأتى عرضا فى أشعار القدامى ، فلم تكن العرب « تعبأ بالتجنيس والمطابقة ، ولا تحفل بالإبداع والاستعارة إذا حصل لها عمود الشعر ونظام القريض ، وقد كان يقع ذلك فى خلال قصائدها ، ويتفق لها فى البيت بعد البيت على غير تعمد وقصد ، فلما أفضى الشعر إلى المحدثين ، ورأوا مواقع تلك الأبيات من الغرابة والحسن ، وتميُّزها عن أخواتها فى الرشاقة واللطف ، تكلفوا الاحتذاء عليها فسمّوه البديع ، فمن محسن ومسىء ، ومحمود ومذموم ، ومقتصد ومُفرط » [(١)].

وقد اشتمل القرآن الكريم على فنون بديعية رائعة ، كانت مثالا يحتذى به العرب فى كلامهم ، فقد رأوا هذه الأساليب القرآنية بجمالها وحسنها وتنسيقها ، فصادفت منهم ذوقا سليما وحسا رائقا فوقفوا أمامه مشدوهين عاجزين عن هذا التحدى القارع، وهو الذى خاطبهم بما عرفوه وألفوه ومارسوه فى مصاقع بيانهم.

وكان الجناس أحد الأساليب البديعية القرآنية التى انتثرت بين آياته ، وأشرقت فى سمائه ، فسمع العرب نغما صوتيا ، وإعجازا موسيقيا لا قبل لهم به ، فضرب على أوتار قلوبهم ونفذ إلى وجدانهم .

وها هو ذا النبى ﷺ أفصح العرب قاطبة يأتى بالجناس عرضا فى حديثه ، وذلك حسب ما تقتضيه الحاجة ، ويتطلبه المعنى ، فيقول ﷺ : « عُصيَّةُ عَصَتِ اللهَ ورسولهَ ، وغِفَارٌ غَفَرَ الله لها ، وأَسْلَمُ سَالَمها الله » وقوله ﷺ : «الظلم ظلمات يوم القيامة » ، وقيل له ﷺ : مَنْ المسلم ؟ فقال : « مَنْ سلم المسلمون من لسانه ويده » [(٢)] .

---

(١) القاضى الجرجانى ـ الوساطة بين المتنبى وخصومه ـ تحقيق وشرح محمد أبو الفضل إبراهيم ، وعلى محمد البجاوى ـ القاهرة ـ عيسى الحلبى ـ بدون تاريخ ـ ص٣٣ ، ٣٤ .

(٢) أبو هلال العسكرى ـ الصناعتين ـ تحقيق : د. مفيد قميحة ـ بيروت ـ دار الكتب العلمية ـ ط٢ ـ ١٩٨٩م ـ ص٣٥٥ .

وربما جاء الشاعر بالجناس مرسلا فى أشعاره ، فتراه لؤلؤا منثورا فى كلامه ، وتسمعه عزفا موسيقيا وتغريدا يترنم به العامة والخاصة ، ومن « ألطف ما جاء من التجنيس وأحسنه فى كلام العرب ، قول القُطَامى :

كِنيَّةِ الحىِّ من ذِى القَيْظَةِ احتَملُوا مُسْتَحْقِبِينَ فؤادًا ما له فادِى

ومثل هذا فى أشعار الأوائل موجود ، لكنه إنما يأتى منه فى القصيدة البيت الواحد أو البيتان ، على حسب ما يتفق للشاعر ، ويحضر فى خاطره ، وفى الأكثر لا يعتمده ، وربما خلا ديوان الشاعر المكثر منه ، فلا ترى له لفظة واحدة»[1].

والتجنيس « غُرَّة شادخة فى وجه الكلام ، وقد تصرف العلماء من أرباب هذه الصناعة فيه فغربوا وشرقوا ، لا سيما المحدثين منهم ، وصنف الناس فيه كتبا كثيرة ، وجعلوه أبوابا متعددة ، واختلفوا فى ذلك ، وأدخلوا بعض تلك الأبواب فى بعض » [2] .

والتجانس هو التشابه، فتتشابه الكلمتان فى اللفظ، وتختلفان فى المعنى ، وقد يكون جناسا تاما أى: تتفق الكلمتان فى عدد الحروف وأنواعها وهيئاتها وترتيبها، فإن كانت الكلمتان المتجانستان اسمين أو فعلين سُمّى مماثلا، كقوله تعالى:

﴿ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالأَبْصَارِ . يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لأُولِي الأَبْصَارِ ﴾ [النور : ٤٣ ، ٤٤] .

فجانس بين (الأبصار) بمعنى البصر ، وبين (الأبصار) أى : البصيرة والعقل وإذا كان الجناس بين اسم وفعل ، فهو الجناس المستوفى ، كقول محمد

(١) الآمدى ـ الموازنة بين شعر أبى تمام والبحترى ـ تحقيق السيد أحمد صقر ـ القاهرة ـ دار المعارف ـ ط٢ ـ ١٩٧٢ ـ ص٢٨٤ والجناس فى البيت بين : (فؤادا ـ فادى) ومعناه : ما للكواعب ودعتنى كما ودعنى حتى كنت كلفا بهم فظعنوا واستحقبوا فؤادى ، وهو الأسير الذى لا يفديه أحد . [الموازنة ص١٦] .

(٢) ابن الأثير ـ المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر ـ بتحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ـ بيروت ـ المكتبة العصرية ـ ١٩٩٥م ـ ص٢٤١ .

ابن عبد الله بن كُناسة الأسدى فى رثاء ابنه يحيى :

وسميته يحيى ليحيا فلم يكن إلى رَدِّ أمر الله فيه سبيل

فجانس بين « يحيى - ليحيا » (١) .

وقد يكون **الجناس مُركبا** وهو على ثلاثة أنواع :

أ - متشابه : وذلك إذا كانت الكلمتان متشابهتين فى الكتابة والنطق كقولك: جعل الله لفرعون علامات ، فلما علا مات .

ب - مفروق: وذلك إذا كانت الكلمتان مختلفتين فى الكتابة ، كقول أبى حفص عمر بن على المطوعى :

لا تَعْرِضَن على الرُّواة قصيدةً ما لَم تُبالغ قبلُ فى تهذيبها

فمتى عرضتَ الشعر غير مُهذب عَدُّوه منك وساوسا تهذى بها (٢)

جـ - مَرْفُوّ : وذلك إذا كان الجناس مركبا من كلمة وبعض كلمة ، كقولك: لم يكن فرعون فى عون جنده

وقد يكون الجناس غير تام ، وهو على أنواع :

أ - الناقص : (أى فى عدد الحروف) كقوله تعالى :﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ. إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾ [القيامة : ٢٩ ، ٣٠] .

ب - المضارع : إذا كان الحرفان المختلفان متقاربين فى المخرج. كقوله تعالى: ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْئَوْنَ عَنْهُ ﴾ [الأنعام : ٢٦] .

جـ - اللاحق: إذا كان الحرفان المختلفان متباعدين فى المخرج ، كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيد. وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾

[العاديات: ٧، ٨]

---

(١) عبد المتعال الصعيدى - بغية الإيضاح - القاهرة - مكتبة الآداب - ط٧ - ١٩٩٠م - ص٦٧ .

(٢) نفس المصدر ص٦٨ .

د ـ المُحرّف : وذلك إذا اختلفت الكلمتان فى حركات الحروف ، كقوله ﷺ: « **اللهم كما حَسَّنتَ خَلْقى ، فَحَسّنْ خُلُقى** » .

هـ ـ المُصَحّف:وذلك إذا اختلفت الكلمتان فى النقط،كقوله تعالى: ﴿ **الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا** ﴾ [الكهف : ١٠٤] .

وكقوله : ﴿ **وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِين . وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِين** ﴾ [الشعراء : ٧٩، ٨٠] .

ومن الجناس ما يُسمى بجناس **القلب** ، وذلك إذا اختلف ترتيب الحروف فى الكلمتين ، نحو قوله ﷺ : « **اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا** » .

أما جناس الاشتقاق ، فهو اشتراك الكلمتين فى أصل واحد ، كقوله تعالى : ﴿ **يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَات** ﴾[البقرة :٢٧٦] فاشتقت الكلمتان من فعل واحد وهو (رَبَا) أى : زاد ، ويطلق على هذا النوع من الجناس ـ أيضا ـ الجناس المكرر والمردد والمزدوج ، لأن الكلمتين اتصلتا دون فاصل .

وأما جناس **المشابهة** : فلا تشترك الكلمتان فى أصل واحد ، وإن تشابهتا فى ذلك ، كقوله تعالى : ﴿ **قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِين** ﴾ [الشعراء:١٦٨] .

قال : من القول ، والقالين من القلى : أى الكراهية .

وهذه الآية الكريمة تدخل ـ أيضا ـ فى باب « رد العَجُز على الصدر » .

أما إذا جاء الجناس بين المأمور والآمر ـ مثلا ـ والمطيع والمطاع ، فليس ذلك من التجنيس ؛ لأن الاختلاف بين هذه الكلمات لأجل أن بعضها فاعل وبعضها مفعول به ، وأصلها إنما هو الأمر والطاعة ، ويكون المطيع مع المستطيع ، والآمر مع الأمير تجنيسا [1] .

---

(١) الصناعتين ص٣٥٤ .

أما الجناس المعنوى ، فهو أن تتفق الكلمتان أو الجملتان فى المعنى دون اللفظ وذلك لغرض بلاغى يقتضيه السياق .

وقد وقفت مع الجناس فى القرآن الكريم وقفتين: الأولى مع الجناس اللفظى.

والأخيرة مع الجناس المعنوى ، متحريا فى الوقفتين ـ بما هدى الله ويسَّر ـ موسيقى الجناس فى صحبة الإعجاز البلاغى البديع الذى اشتمل عليه السياق ، فالألوان البلاغية والدلالات اللغوية تتآزر لتشكل نسقا تصويريا يخاطب الحس ويأسر الوجدان .

وقد رأيت ـ بتوفيق من الله ـ أن أسير فى فصلى البحث على هدى السور وترتيبها ، لما فى هذا الترتيب القرآنى من تناسق فكرى وانسياب جمالى مسترسل ، يأخذ بلب القارئ ويأسر ذهن المتأمل ، فيُعايش الجو العام للآيات بما فيها من مشاهد تصويرية وإيقاعية وحركية متنوعة .

الفصل الأول

فن الجناس اللفظى
فى بديع القرآن

الفصل الأول
فن الجناس اللفظى فى بديع القرآن

سورة البقرة :

﴿ الٓمٓ . ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِين. الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُون. وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُون﴾ [البقرة : ١:٤] .

قال تعالى: ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُون﴾، ﴿وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُون﴾ جملتان متساويتان حرفيا مما أحدث إيقاعا صوتيا قويا ، وقد زاد منه الجناس الناقص بين (ينفقون ـ يوقنون) والإنفاق واليقين من صفات المتقين الذين مدحهم الله تعالى فى بداية هذه السورة الكريمة ـ سورة البقرة ـ وقد عبر بالفعل فيهما لأن الإنفاق دائم مستمر باستمرار الرزق الإلهى ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ ﴾ .. وهو ـ أيضا ـ يقين دائم لا ينقطع باستمرار هذا الإيمان الشامل للغيب ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾، والحاضر والماضى ـ الكتب السابقة ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ﴾ .

وقد جاء الإنفاق مطلقا من كل قيد ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُون ﴾ على تقدير محذوف أى : ينفقون فى سبيل الله وفى كل وجوه الخير .. بينما جاء اليقين مقيدا بشبه الجملة ﴿ وَبِالآخِرَةِ ﴾ وبضمير الفعل ﴿ هُم ﴾ لإفادة القصر والتوكيد .

قال تعالى : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُون ﴾ [البقرة : ١٧] .

نستشعر هذا الجرس الموسيقى الموقظ للأذهان فى الجناس بين كلمتى نار ونور فى الآية الكريمة وهو جناس لاحق لتباعد الحرفين (الألف ـ والواو) فى المخرج ،

ويذكر العلامة ابن القيم أن الله ـ جل شأنه ـ لم يقل : (ذهب الله بنارهم) ـ مع أنه مقتضى السياق ـ ليطابق أول الآية : ﴿ اسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾ فإن النار فيها إشراق وإحراق ، فذهب الله تعالى بما فيها من الإشراق وهو النور ـ وأبقى ما فيها من الإحراق وهو (النارية) [1] .

وهذا التشبيه التمثيلى الذى صور حال الكافر بالمستوقد للنار التى يرى فيها النفع والخير ، فما لبث أن ذهب الله بها ، وتركهم فى ظلمات الكفر والنفاق، وإمعانا فى تصوير حقارتهم ، جاءت هذه الأدوات التشبيهية المتعددة ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ﴾ .

وفى هذا المشهد العجيب قد خاطب المولى عز وجل حواسنا المختلفة لتدبر هذه الحالة ـ حالة المنافق ـ فنراه وهو يقبل فى حركة نشيطة لإشعال النار وهى نار الفتنة ولذلك نكرها ، وعندما يفرح بنورها وضيائها فإذا هى خامدة مظلمة ، سوداء حالكة ، فيقومون وهم يتخبطون فى هذا الظلام الشديد .

ولم يقتصر دور الجناس بين (النار ـ النور) على هذا الصوت الموسيقى فى ذلك السياق البلاغى البديع ، وإنما نراه يقرع القلوب فى إثارة ذهنية مفاجئة عن طريق هذا (الالتفات) والتحول من صيغة الضياء إلى النور ، فلم يقل : (ذهب الله بضوئهم) مع أن ذلك هو مقتضى السياق اللفظى والذهنى ؛ وذلك لأن «ذكر النور أبلغ ؛ لأن الضوء فيه دلالة على الزيادة ، فلو قيل : ذهب الله بضوئهم لأوهم الذهاب بالزيادة وبقاء ما يسمى نورا ، والغرض إزالة النور عنهم رأسا وطمسه أصلا ، ألا ترى كيف ذكر عقيبه : ﴿ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ ﴾ ، والظلمة عبارة عن عدم النور وانطماسه ، وكيف جمعها ونكرها وكيف أتبعها ما يدل على أنها ظلمة مبهمة لا يتراءى فيها شبحان وهو قوله : ﴿ لاَ يُبْصِرُونَ ﴾ » [2].

---

(١) محمد على الصابونى ـ صفوة التفاسير ـ بيروت ـ دار القلم ـ ط٥ ـ ١٩٨٦ ـ ج١ ، ص٤٠ .

(٢) الزمخشرى ـ تفسير الكشاف ـ القاهرة ـ دار الريان للتراث ـ ط٣ ـ ١٩٨٧م ـ جـ١ ، ص٧٤ .

قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ . الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٢١ ، ٢٢] .

جناس بديع جمع أشكالا مختلفة ، تبعث على النشاط الذهنى وذلك بين الفعل والاسم فى قوله تعالى: (خلقكم ـ قبلكم)، وهو جناس مقلوب: خلق . . قبل ، وهو فى الوقت ذاته جناس لاحق لتباعد مخرج الحرفين : الخاء والباء . .

وهذه الأشكال المختلفة فى أصواتها ، المجتمعة فى موضعها ، من شأنها أن تضرب على أوتار القلوب بقوة لتلفتها إلى الحقيقة الإلهية والقدرة الربانية فى الخلق وتهيئة سبل الحياة من فراش الأرض وبناء السماء وإنزال المطر منها وإخراج الثمرات من الأرض ، وقد جاءت مظاهر تلك النعم العظيمة فى سياق آخر من الجناس فى قوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴾ وهو جناس ناقص أحدث جرسا موسيقيا قويا ، زاد من قوة نغمه هذا الصوت الممتد فى ألف (السماء والماء) ، وكأنه يمد الأعناق إلى تدبر آيات الله فى الكون ، وهذا الصوت الممدود الذى تكرر فى كلمات عديدة فى الآيتين الكريمتين ، قد صاحبه صوت موسيقى رقيق نشأ من التنويع اللفظى بين (الذى ـ الذين ـ الذى) .

والجناسان قد وقعا بين أسلوبين إنشائيين فى أول الآية الكريمة فى قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُم ﴾ وفى آخرها: ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ، فهذا النداء ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاس ﴾ جاء مخاطبا الناس كافة ، فهم جميعا مطالبون بهذا الأمر ﴿ اعْبُدُوا رَبَّكُم ﴾ وجاء التعبير بالربوبية فلم يقل : (اعبدوا الله) لأن المقام مقام تربية للنفوس وترقيق للقلوب،ولذلك جاء الحديث بما يأسر النفوس ويخضعها لخالقها ، فذكر تعليل هذا الأمر بالعبادة بأنه : ﴿ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُم ﴾ ثم ذكر ما يحيط بهم من نعم عديدة جمعت مظاهر الحياة من تهيئة الإقامة والطعام والشراب ، فكانت النفس مهيأة لاستقبال هذا النهى : ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُون ﴾ .

قال تعالى : ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة : ٢٤] .

هذا الجناس اللاحق بين (النار ـ الناس) بمجيئه فى سياق خطاب التحدى والتعجيز ﴿ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ﴾ [البقرة : ٢٣] ، له وقع أخّاذ يقرع القلوب ، فيلفت الانتباه إلى تلك العلاقة الاشتعالية بين النار والناس فى هذا المقام ، فقد صار الناس حطبا يوقد به النار ، مع تلك الحجارة التى كانوا يعبدونها ، ويكون من أثر ذلك أن تهتز النفس روعا أمام هذا المشهد الحركى الحسى فيقف الإنسان مشدوها يطلب الوقاية .

وقد تضافر مع جرس الجناس هنا ، صوت موسيقى آخر ناشئ من تكرار الفعل ﴿ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا ﴾ وما بينهما من حسن تقسيم واقع فى سياق نفى الماضى والحاضر ﴿ لَّمْ تَفْعَلُوا ﴾ ونفى المستقبل الأبدى بالجملة الاعتراضية : ﴿ وَلَن تَفْعَلُوا ﴾ .

وهذا النفى الجازم لكل زمان يُصدر بـ (إن) دون (إذا) حتى « يساق القول معهم حسب حسبانهم وطمعهم، وأن العجز عن المعارضة كان قبل التأمل كالمشكوك فيه لديهم لاتكالهم على فصاحتهم واقتدارهم على الكلام ، وأن يتهكم بهم كما يقول الموصوف بالقوة الواثق من نفسه بالغلبة على من يقاويه :إن غلبتك لم أبق عليك ، وهو يعلم أنه غالبه ويتيقنه تهكما به »[1].

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٣٠] .

سفك الدماء نوع من أنواع الإفساد فى الأرض ، ونظرا لفظاعته وقباحته فقد أفردته الملائكة بالذكر وخصصته من عموم الإفساد ، وفى هذا المعنى الدقيق يبرز

(١) الكشاف ١/١٠١ .

صوت الجناس بين كلمتى : (يفسد ـ يسفك) ، فإن « مناسبة الألفاظ لبعضها تحدث ميلا وإصغاء إليها ؛ لأن ما فيه من إيهام النفس أن الكلمة المكررة ذات معنى واحد ، فإذا أمعن المرء فيها النظر رأى للكلمتين معنيين مختلفين » [1] .

قال تعالى : ﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ . وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ [البقرة : ٦٤ ، ٦٥]

هاتان آيتان فى بيان أحوال بنى إسرائيل ، الآية الأولى تبكتهم على ما فعلوه من تولٍّ ثم العفو عنهم ، والآية الثانية تحذرهم مصير القردة ، وقد قام الجناس اللاحق بدوره فى إبراز هذه المعانى بصوت يوقظ الأذهان وذلك بين كلمتى : (الخاسرين ـ خاسئين) .

وهذا السياق البليغ الذى حمل بين طياته التهديد والوعيد ، قد أمعن فى إظهار مدى الذلة والحقارة التى لحقت بالذين اعتدوا فى السبت وذلك بقوله تعالى: ﴿ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ .

ومن البلاغة القرآنية أن يأتى صدر الآية الثانية بما يحمل من وعيد ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ ... ﴾ ردا على صدر الآية الأولى بما يحمل من إعراض وتولٍّ : ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم...﴾ ، وفى ذلك نغم صوتى يعمل على شحذ الذهن وإيقاظه .

قال تعالى : ﴿ أَوَلا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُون. وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ . فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُون ﴾ [البقرة : ٧٧ ـ ٧٩] .

---

(١) د . حفنى محمد شرف ـ الصور البديعية بين النظرية والتطبيق ـ القاهرة ـ مكتبة الشباب ـ ط١ ـ ١٩٦٦م،ص١٠.

أولا يعلمون .. أن الله يعلم .. ما يسرون .. وما يعلنون ، هذا الإيقاع الصوتى يثير فى النفس التأمل والتهيؤ للمعنى ، فيصفو الذهن لتلقى المزيد من الإخبار والإنذار ، فيبرز صوت الجناس بجرسه الموسيقى القوى وذلك بين : (يعلمون ـ يعلنون) وبين : (يكتبون ـ يكسبون) ، وقد جاء الجناس هنا فى سياق التهديد والوعيد بكلمة (ويل) التى تكررت ثلاث مرات ، مما يضفى على المشهد المزيد من الروع والمهابة .

وهؤلاء قد اشتروا الدنيا بالدين ، ودخلوا فى تجارة خاسرة ، فهم قد عمدوا إلى التزييف وأصروا على الكذب على الله تعالى ، لذلك عبر عن كتابتهم بقوله : ﴿ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ﴾ ، وكان مقصدهم الربح الموفور ، فكان جزاؤهم ﴿ثَمَنًا قَلِيلا ﴾ على التنكير والوصف الدالين على التحقير والتقليل ، فضلا على ما ينتظرهم من (الويل) الذى جاء ـ أيضا ـ بالتنكير التهويلى المطلق دون وصف مقيد له ، حتى تذهب النفس فى تخيله كل مذهب ، وقد اكتفى السياق بتخصيص هذا الويل (لهم) .

قال تعالى : ﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ ﴾ [البقرة : ١٠٢] .

السحر من الأعمال الخفية التى يقوم بها مردة الشياطين،وهى مخلوقات ـ أيضا ـ خفية عن الأعين،وقد جاء الحديث عن ذلك فى سياق جرس موسيقى قوى، يظهر صوته الجهير فى الجناس غير التام بين:(ملك ـ الملكين) وبين:(هاروت ـ وماروت)..وقد ساعد طباق السلب فى إبراز المعنى فى قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا ﴾،وفى قوله ـ جل شأنه ـ:(يعلمون ـ وما يعلمان).

ويبرز فى السياق صوت آخر قوى وهو تكرار حرف السين وألف المد الذى يوحى بامتداد هذا العمل الشيطانى فى الغرابة والقبح والكفر الذى أُبهم فى قوله

تعالى : ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾ ثم فُصل ووُضح فى قوله : ﴿ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ .

قال تعالى : ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ﴾ [البقرة : ١٠٦ ، ١٠٧] .

هذا تبكيت لأهل الكتاب والمشركين الذين طعنوا فى القرآن الكريم لمّا حدث النسخ ، ولعل صوت الجناس الموسيقى بين : (ننسخ ـ ننسها) وبين (ملك ـ وما لكم) يقرع قلوبهم فيوقظهم من الغفلة . .

والأسلوب القرآنى يقطع عليهم سبيل الشك ، فيخبرهم أن النسخ وهو تغيير حكم آية من الآيات أو محوها من قلب النبى ﷺ ، هو خير على الإطلاق ، ولذلك عبر بالتنكير فى ﴿ آيَةٍ ﴾ المفيد للعموم والشمول لوقوعه فى سياق الشرط، والتنكير فى ﴿ بِخَيْرٍ ﴾ ليفيد الكثرة والتضخيم ، وقد جاء التعبير بالاستفهام التقريرى ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ ﴾، والخطاب للنبى ﷺ ،والمراد أمته بدليل [1] ـ قوله تعالى: ﴿ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾ .

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [البقرة : ١٢٧] .

فجانس بين ﴿ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ وهما صيغتان للمبالغة ، وقد جمع الجناس هنا بين صفتى السمع والعلم ، فهو ـ جل شأنه ـ يسمع الدعاء ويستجيب له ، ويعلم نية الداعى وحاله .

وقد اعتمد السياق هنا على الذكر بالعَلَم (إبراهيم ـ وإسماعيل) وذلك للتخصيص والتعظيم ، ولما كان العمل الأساسى يقوم به إبراهيم عليه السلام . فقد قدّمه منفردا ، فلم يقل:(وإذ يرفع إبراهيم وإسماعيل القواعد من البيت) ، هذا

---

(١) صفوة التفاسير ٨٧/١ .

وقد توسط الأسلوب الإنشائى مع ما فيه من حذف تقديره : وهما يدعوان الله : ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ﴾ بين الخبرين فى صدر الآية وعجزها ، وذلك فيه لفت للانتباه ، فينشغل القلب والفكر بهذه الحالة الكريمة التى كان عليها إبراهيم وإسماعيل ، وهى حالة خضوع وتذلل لله تعالى عند القيام بهذا العمل الجليل ، ولذلك كان التعبير بالتوكيد بإنّ والضمير المنفصل ﴿ إِنَّكَ أَنت﴾ .

والله تعالى قد مدح إبراهيم عليه السلام بعد هذه الآيات الكريمة التى حملت دعاءه فقال جل شأنه : ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [البقرة : ١٣٠] .

فجانس بين ﴿ سَفِهَ نَفْسَه ﴾ وهو جرس موسيقى يضرب بقوة على أوتار القلوب لتتبين موضع هذا السفه من النفس فتأخذ النفس حذرها .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢١٨] .

فقد عمل الجناس بين : ﴿ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا ﴾ على إبراز هذا المعنى المسوق فى الآية الكريمة التى ربطت بين الإيمان والهجرة والجهاد ، وذلك كله مقيد بأن يكون ﴿ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ وطلبا فى ﴿ رَحْمَتَ اللَّهِ ﴾ .

وقد خاطبهم المولى ـ عز وجل ـ بخطاب التعظيم من طريق اسم الموصول ﴿الَّذِين﴾ ، واسم الإشارة ﴿ أُوْلَئِكَ ﴾ ؛ ولذلك كانت البشارة بالأسلوب الخبرى المصدر بلفظ الجلالة: ﴿ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾. وتكرار اسم الموصول ﴿ الَّذِين ﴾ يوحى بشمول المغفرة والرحمة لفئتين من المسلمين . . فئة ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ أى : لم يستطيعوا الهجرة والجهاد مثل الفئة الأخرى ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا ﴾ ، فالمغفرة والرحمة شاملة لهم ، لأنهم جميعا : ﴿ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ ﴾ .

* * *

سورة آل عمران :

قال تعالى : ﴿ **قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ** ﴾ [آل عمران : ١٣] .

يزخر هذا المشهد بالألوان البلاغية الحاشدة بالحركة ، وقد لعب الجناس دوره فى إبراز جوانب هذا المشهد ، فنسمعه وهو يقرع الآذان بصوته القوى فى : (التقتا ـ تقاتل) وهو جناس ناقص يوحى بصوت التقاتل وعنف حركة اللقاء ، وقد جاء هذا الجناس فى سياق التقديم والتأخير والتنكير التضخيمى فى صدر الآية الكريمة ﴿ **قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ** ﴾ وفيه إثارة واهتمام بالمقدم وتشويق للمؤخر ، وهذا التفصيل فى قوله :﴿ **فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ** ﴾ بعد قوله : ﴿ **فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا**﴾ .

وهذا الأسلوب البديع قد حمل فى طياته الإيجاز بالحذف فى قوله : ﴿**وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ** ﴾ أى : وفئة أخرى كافرة تقاتل فى سبيل الشيطان ، وبذلك تتقابل الجملتان معنويا فتعمل على الإثارة الذهنية والنشاط الفكرى . .

ولا يكاد الذهن يعبر هذا البحر البلاغى الزاخر حتى يفاجأ بجناس الاشتقاق[(١)] فى قوله : (ترونهم ـ رأى العين) وهذا الجناس بصوته المفاجئ يعمل على أسر نظرات العين إلى واقع المشهد ، حتى كأننا نعيش واقعه الفعلى ، فتأتى بشارة النصر مسندة إلى الله عز وجل فى الأسلوب الخبرى : ﴿ **وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ** ﴾ .

وإذا نظرنا إلى صدر الآية الكريمة وجدناها بدأت بالتقديم ﴿ **لَكُم** ﴾ ، وعجز الآية قد انتهى بالتقديم ﴿ **لَعِبْرَةً** ﴾ ، فهى علاقة معنوية تثير النفس وتأخذ باللب .

(١) صفوة التفاسير جـ١ ، ص١٩٠ .

قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [آل عمران : ٣٥] .

(قالت .. فتقبل) جناس ناقص لاحق يربط النفس بين هذا القول وبين غايته العظمى وهى القبول ، ويأتى هذا الجناس فى سياق الأسلوب الإنشائى الدعائى (ربّ ـ فتقبل) ، والأسلوب الخبرى المؤكد بإن ﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ .. ﴾ والأسلوب الخبرى المؤكد بإن والضمير المنفصل ﴿ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ .

وهذا التغيير والتبديل فى الأساليب من شأنه أن يلفت الذهن إلى دقيق المعانى وتخيل الجو النفسى ، خاصة وأن الآية الكريمة قد بدأت بصيغة الغائب ﴿ إِذْ قَالَتِ ﴾ ثم تحول الأسلوب إلى صيغة الخطاب ﴿ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي ﴾ إضافة إلى هذا الصوت الموسيقى الهادئ الذى يبعث على الخشوع والتذلل لله تعالى ، وهو ما حملته الإضافة إلى ياء المتكلم المقدرة فى ﴿ رَبِّ ﴾ والظاهرة فى: (بطنى ـ منى) .

وقد يأتى الجناس ليضرب بجرسه على أوتار القلوب ، فيثير حمية الإيمان فى النفوس، فعن طريقه يأتى مدح المؤمنين فى قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٤] فجانس بين ﴿ السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ ﴾ وطابق بينهما ، مما ساعد على إبراز حال المؤمنين فى اليسر والعسر .

وعن طريقه يوقظ الإيمان فى القلوب ، فتأخذ حذرها ، وتوطن خواطرها على الصبر والرضا بقضاء الله وقدره ، قال تعالى : ﴿ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴾ [آل عمران : ١٤١] .

فبين التمحيص والمحق جناس ناقص له وقع عنيف على الآذان بما تحمله الكلمتان من ثقل فى التركيب ، فالتمحيص : الاختبار والابتلاء ، ومحص الله ما بك ومحّصه : أذهبه ، والمحق : النقصان وذهاب البركة ، ومحقه الحر أى :

أحرقه (١) .

وقد يأتى الجناس راسما للمشهد الحركى ، مبينا التناقض الذى وقع فيه فئة من الناس ، كقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلاَّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [آل عمران : ١٨٣] .

فيبرز الصوت الجهير فى الجناس بين (قل ـ قد) وبين : ﴿ قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ ﴾ فيكون بمثابة زجر ونهر لهم على فعلهم وتناقضهم ، ومجيئه فى سياق الاستفهام الاستنكارى يعمل على رفع هذا الصوت التوبيخى ، فيقع على آذانهم طعنا فى صدورهم ، ولطما على وجوههم .

فالجناس له مهمته المعنوية الجليلة ، فهو لا يقتصر على هذا الإيقاع الصوتى ، ولكنه ينفذ من خلاله إلى إثارة النفس وجذبها إلى المعنى المراد ، وذلك « أنك تتوهم قبل أن يرد عليك آخر الكلمة ، أنها هى التى مضت ، وقد أرادت أن تجيئك ثانية ، وتعود إليك مؤكدة ، حتى إذا تمكن فى نفسك تمامها ، ووعى سمعك آخرها ، انصرفت عن ظنك الأول ، وزلت عن الذى سبق من التخيل ، وفى ذلك ما ذكرت لك من طلوع الفائدة بعد أن يخالطك اليأس منها » (٢) .

* * *

سورة النساء :

وقد يأتى الجناس ليرسم فحش الحركة وقبح السعى إلى فعل معين وذلك كما فى قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلاً ﴾ [النساء : ٢٢] .

(١) ابن منظور ـ لسان العرب [لسان اللسان] (تهذيب المكتب الثقافى لتحقيق الكتب ـ بيروت ـ دار الكتب العلمية ـ ط١ ـ ١٩٩٣م مادة : محص .

(٢) عبد القاهر الجرجانى ـ أسرار البلاغة ـ تعليق : محمود شاكر ـ القاهرة ـ مطبعة المدنى ـ ط١ ـ ١٩٩١م ، ص١٨ .

فجانس بين : (النساء ـ ساء) جناسا ناقصا يوحى بنقص هذا الفعل عن كل مبادئ الأخلاق وشيم النفوس السوية ، وبذلك يتجسم فى الخيال قبح هذا الفعل وسوء السعى إليه . . وقد وقع الجناس فى أسلوب الفصل ؛ لاختلاف الجملتين إنشاء وخبرا ، وقد جاءت الجملة الخبرية مؤكدة بـ (إن) لتجيب على التساؤلات التى تنشأ فى النفس ، لتقف على سبب تحريم هذا النكاح ، فضلا عما جاء من أحكام متلاحقة الإيقاع عنيفة البيان تحكم على هذا الزواج بأنه بلغ الذروة والغاية فى الفحش والمقت وسوء السبيل ، ويظهر ذلك فى تنكير تلك الكلمات .

قال تعالى : ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا به ... ﴾

[النساء : ٨٣]

فجانس بين : (أمر ـ الأمن) وبين : (من ـ الأمن) ، وهذه الأصوات المتداخلة المتعالية ، تأتى فى سياق بيانى وبديعى يشخص هذا المشهد ، فيتخيل الذهن هذا الأمر المتضاد ﴿ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ ﴾ وهو يأتى فى حركة المجىء فيفشو وينتشر ﴿ أَذَاعُوا به ﴾ .

وقد يجمع الجناس بين هيئة الحركة والزمان فى أسلوب بليغ يستأثر بالذهن ، وذلك كما فى قوله تعالى :

﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴾ [النساء : ١٠٣] .

فالجناس هنا قد أتى فى معرض الحديث عن أهم فريضة فى الإسلام ، وهى الصلاة ، ولذلك فقد جاء الجناس بين ثلاث كلمات : (قياما ـ فأقيموا ـ موقوتا)، وقد جمع الجناس فيها بين هيئة القيام ، وهيئات إقامة الصلاة من : ركوع . . وسجود . . وقيام . . وقعود ، مع ملازمة هيئة روحية من الخشوع تكتسيها الجوارح فى حال إقامة الصلاة ، والزمن المحدد للصلاة ﴿ موْقُوتًا ﴾ فلا يجوز تأخيرها عن وقتها .

وقد تكررت كلمة ﴿ الصَّلاةَ ﴾ فى الآية الكريمة ثلاث مرات .. الأولى : ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلاةَ ﴾ وهى هنا مجاز مرسل، حيث أطلق العام وأراد صلاة مخصوصة هى صلاة الخوف ، والصلاة الثانية هى : عموم الصلاة ، والثالثة : توكيد لها ، وهو تكرار يفيد أهمية الصلاة وخطورة مكانتها ، وهذه المعانى اللطيفة قد ساهم فى إبرازها صوت جناسى آخر بين كلمتى : (كانت ـ كتابا) وجاء التعبير بزمن الماضى ﴿ كَانَت ﴾ مع أن هذا يكون مستمر أبدا ، للدلالة على التحقيق والتوكيد..

وينبغى أن يكون الإنسان ذاكرا لله على كل حال ، لا يفصله عن ذلك زمن ما ، ولذلك فقد تكررت الفاء الدالة على التعقيب والسرعة ، فقال تعالى : ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ.. ﴾،وقال جل شأنه:﴿ فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ ﴾ .

وقد يجمع الجناس بين الشىء الخفى والشىء الحسى ، فيبرز الظاهر تبعا للباطن ، كما فى قوله تعالى حكاية عن إبليس ـ لعنه الله :

﴿وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ﴾

[النساء : ١١٩]

فجانس بين : ﴿ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُم ﴾ جناسا ناقصا لاحقا يجمع بين الباطن الخفى المتمثل فى إلقاء الأمانى الكاذبة الشيطانية فى القلوب ، وبين الظاهر الخارجى المتمثل فى الأمر الحسى الظاهر فى تقطيع آذان الأنعام وتغيير خلق الله .

ومجىء الجناس فى سياق تكرار التوكيد باللام والنون الثقيلة والفاء الدالة على التعقيب والسرعة وتكرارها فى : (فليبتكن ـ فليغيرن) يوحى بثقة إبليس ـ عليه لعنة الله ـ من سرعة انزلاق كثير من الناس وسهولة إغوائهم ـ عافانا الله .

* * *

سورة المائدة :

قال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا . . ﴾ [المائدة:١٧] .

فالجناس بين : (يملك - يهلك) جناس محرف لاختلاف حركة الياء من الفتحة إلى الضمة ، وهو جناس لاحق لتباعد الحرفين المختلفين (الميم والهاء) فى المخرج . والجرس الصوتى يوحى بالتحول المفاجىء من الملكية ﴿ يَمْلِكُ ﴾ إلى الفناء فى ﴿ يُهْلِكَ ﴾ .

ولما اختلفت الجملتان ﴿ لَقَدْ كَفَرَ . . ﴾ و ﴿ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ ﴾ خبرا وإنشاء جاء الفصل بينهما ، وجاء التوكيد فى صدر الآية الكريمة ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ﴾ ليواجه التوكيد الصادر من هؤلاء الكافرين فى قولهم : ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ ﴾ .

وقد يأتى الجناس ممثلا للمشهد راسما لجوانبه الفنية آخذا بلب القارئ وأحاسيسه ، وذلك كقوله تعالى : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة : ٢٧] .

فكان الجناس المقلوب بين ﴿ نَبَأَ ابْنَيْ ﴾ يقف بالنفس على حقيقة هذا الميزان المقلوب المتمثل فى قتل الأخ لأخيه محققا أول جريمة قتل على ظهر الأرض ، وهذا الإجمال بما حمله من صوت مفزع ، يعقبه تفصيل لهذا النبأ ، وهو تفصيل يأخذ النفس مأخذا آخر بصوت جهورى آخر نسمعه فى جناس الاشتقاق بين ﴿قَرَّبَا قُرْبَانًا﴾ . .

ومما يزيد من صخب هذه الأصوات وعنفها ، مجيء الجناس فى الموضعين مكررا [1] ، فتلاصقت كلمتى الجناس ببعضهما ، فضلا عما شاع فى المشهد من صوت قوى يقرع النفوس ويقلقلها بشدة ، وهذا الصوت كان مصدره ترديد حرف

(١) ويُسمى - أيضا - مزدوجا ومرددا.

القاف وتكراره .

ويستمر الجناس فى الضرب على الأوتار لإبراز جوانب هذا المشهد بما يحتويه من معان وعظات ، فنراه فى قوله تعالى : ﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيه ... ﴾ [المائدة :٣١].

فالجناس الأول ﴿ لِيُرِيَه ﴾ من الرؤية ، والثانى ﴿ يُوَارِي ﴾ من المواراة ، وهو ما يشبه الاشتقاق وليس منه ، ويسمى تجنيس المشابهة [١] . وهنا يبرز المشهد وهو يمثل « سوأة الجريمة فى صورتها الحسية . صورة الجثة التى فارقتها الحياة وباتت لحما يسرى فيه العفن ، فهو سوأة لا تطيقها النفوس » [٢] .

قال تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُون ﴾ [المائدة : ٥٩] .

فالجناس بين (أهل ـ هل) . . (منا ـ آمنا) قد أتى فى سياق بلاغى بديع ، جمع بين الأساليب الإنشائية المتلاحقة (قل ـ يا أهل ـ هل) مما يأخذ النفس فى إثارة ذهنية قوية ، وقد زاد من قوة هذه الإثارة ، هذا الاستثناء المنقطع : ﴿ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِاللَّه ﴾ ، أى : هل لكم علينا مطعن أو عيب إلا هذا ؟ وهذا ليس بعيب ولا مذمة ، فيكون الاستثناء منقطعا [٣] .

وقد يأتى الجناس بين الكلمتين ليشير إلى أن طريقهما متشابه ، وذلك فى قوله : ﴿ وَحَسِبُوا أَلاَّ تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِّنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة : ٧١] .

---

(١) د. عبد القادر حسين ـ فن البديع ـ القاهرة ـ دار الشروق ـ ط١ ـ ١٩٨٣م ، ص١٢٠.

(٢) سيد قطب ـ فى ظلال القرآن ـ القاهرة ـ دار الشروق ـ ط٢٥ ـ ١٩٩٦م ـ جـ٢ ، ص٨٧٧ .

(٣) ابن كثير ـ تفسير القرآن العظيم ـ اختصار وتحقيق : محمد على الصابونى ـ بيروت ـ دار القرآن الكريم ـ ط٧ ـ ١٩٨١م ـ جـ١ ، ص٥٣٠ .

فتشابهت الكلمتان ﴿ فَعَمُوا وَصَمُّوا ... ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا ﴾ وتلاصقت فى الجوار ، ليوحى بتشابه الطريق ، وهو طريق الغى والفساد ، وقد استعير العمى والصمم للدلالة على الإعراض ، وتعطل الحواس عن رؤية الحق وسماعه .. وهذا الفاصل الزمنى عن طريق (ثم) يوحى باضطرابهم وتخبطهم فى الغى والفساد ، فهم ليسوا على وتيرة واحدة بل التذبذب والتحير ، وفى قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِم ﴾ إيجاز بالحذف ، فيكون « فى الكلام إضمار ، أى : وقعت بهم الفتنة فتابوا فتاب الله عليهم » [1] .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ. أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [المائدة : ٩٥ ، ٩٦].

جاء الجناس هنا فى سياق آيات الأحكام ، ويختلف أسلوب هذه الآيات عن أسلوبها فى آيات العقيدة و التوحيد أو نحو ذلك ، وهذا الاختلاف الأسلوبى يتمثل فى عدة نواح ، كالصياغة التعبيرية والصور البلاغية والخصائص التركيبية ، فالأسلوب القرآنى يتخفف منها فى آيات الأحكام ليناسب طبيعتها العقلية .

وقد ظهر الجناس بصوته القوى ليضفى تنوعا أسلوبيا يأخذ بالنفس إلى طريق اليقظة والانتباه ، ويدفع عنها الرتابة والسأم ، وقد ظهر هذا الجناس فى : (عَدْلٍ .. عَدْلُ) ، (البحر .. البر) ، (حُرُمٌ .. حُرما) .

وقد وقع هذا الجناس فى الآيتين الكريمتين بين الأسلوب الإنشائى فى الصدر والعجز، فالصدر يحمل النداء بإثارة الإيمان فى النفس ، ثم النهى عن قتل الصيد حال الإحرام ، والعَجُز يحمل الأمر بالتقوى ، أى لا سبيل إلى الانتهاء عن هذه

(١) القرطبى ـ الجامع لأحكام القرآن ـ القاهرة ـ دار الكتب المصرية ـ ط٢ ـ ١٩٤٢م ـ جـ٦ ، ص٢٤٨ .

الأمور إلا بالتقوى التي جاءت فى سياق كلمات مؤكدة موقظة للنفس ، وهى التعريف بلفظ التوحيد ﴿ اللَّهَ ﴾ باسم الموصول ﴿ الَّذِي ﴾ ، ثم تقديم المتعلق بالفعل ﴿ إِلَيْهِ ﴾ لإفادة القصر والتخصيص.

وقد وقع الجناس ـ أيضا ـ فى سياق المقابلة بين : ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ ﴾ و﴿ حُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ ﴾ ، وفى قوله تعالى :﴿ أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ ﴾ تخصيص قيّد مطلق الحكم فى صدر الآية الأولى : ﴿لا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ﴾ .

* * *

سورة الأنعام :

وقد يأتى الجناس ليرسم الشخصية من الداخل والخارج ، ليُخرج مكنون النفس متفقا مع الشكل الخارجى للإنسان ، ويظهر ذلك فى قوله تعالى : ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ ﴾ [الأنعام : ٢٦] .

فالجناس اللاحق فى (ينهون ـ ينأون) قد أظهر هؤلاء الكافرين وهم يقومون بنهى الناس وإبعادهم عن القرآن الكريم ، وهذا السلوك الحركى القولى ، قد نبأنا عن قلوبهم المليئة بالحقد والكراهية للقرآن الكريم ، فلم يكتفوا بكفرهم ، ولم يكتفوا بنهيهم ، بل صاروا يدفعون الناس تجبرا وتكبرا . .

وقد ورد الجناس فى سياق التكرار لكلمة : ﴿ عَنْهُ ﴾ إشارة اعظم مكانة القرآن الكريم ، فإنه ما كان ينبغى لهم النهى ولا النأى ، وقد جاء التعبير عن القرآن الكريم فى هذا السياق عن طريق الضمير الهاء فى ﴿ عَنْهُ ﴾ دون التصريح بذكره ، وذلك لتنزيه ساحته الشريفة عن الذكر فى مقام النهى والنأى .

ولتنزيه ساحة القرآن الشريفة عن الذكر فى مقام العذاب ، وهو ما جاء إلا للرحمة ، فقد جاء التعبير عنه ـ أيضا ـ بالضمير دون التصريح باسمه ، وذلك فى سياق الجناس الناقص فى قوله تعالى :﴿ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لاَّ يُؤْخَذْ مِنْهَا ... ﴾ [الأنعام : ٧٠] .

فجانس بين (ذر ـ ذكر) وأشار إلى القرآن الكريم بالضمير فى : ﴿ بِهِ ﴾ ، لتنزيه ساحته عن الذكر فى مقام الهلاك ﴿ تُبْسَلَ ﴾ .

ويقوم الجناس أيضا بدوره الإيقاعى فى مقام التوحيد والعقيدة ، ليوازى هذا الإيقاع الصادر فى مقام الحديث عن الكافرين وعنادهم ، فنسمع صداه الهادئ باعثا على الخشوع فى سياق هذه الآيات ، وذلك فى الجناس الاشتقاقى فى قوله تعالى : ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام : ٧٩] .

ولا نكاد نقف على نهاية السورة الكريمة ، حتى نسمع صوتا عاليا قويا ، مبعثه ذلك الجناس الاشتقاقى ـ أيضا ـ ليوقظ النفس إيقاظا يأخذ باللب ويأسر الذهن ، وذلك فى قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلاَّ عَلَيْهَا وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [الأنعام : ١٦٤] .

فجانس بين : ﴿ وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ ﴾ ، أى : لا يحمل أحد ذنب أحد ، وهذا الصوت القوى يثير الانتباه إلى هذه الحقيقة التى يتغافل عنها الكثير من الناس، ولذلك جاءت فى إطناب توكيدى وتوضيحى بعد قوله تعالى : ﴿ وَلا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلاَّ عَلَيْهَا ﴾ وقد زاد من هذه الإثارة الذهنية ، وقوع الجناس بين تقديم متعلقات الفعل فى صدر الآية وعجزها ففى الصدر ﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا ﴾ فقدم ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ﴾ على الفعل ﴿ أَبْغِي ﴾ فى سياق الاستفهام التعجبى الإنكارى ، ثم إثبات الحقيقة الخالدة فى أسلوب بديع : ﴿ وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ .

وجاء تقديم متعلقات الفعل فى عجز الآية أيضا ، فى قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿إِلَىٰ رَبِّكُم﴾ جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، و﴿مَّرْجِعُكُمْ﴾

مبتدأ مؤخر[١]، وقدم الخبر ﴿ إِلَىٰ رَبِّكُم﴾ على المبتدأ ﴿مَّرْجِعُكُم﴾للتخصيص والحصر وإثارة الذهن، ثم قدم المتعلق بالفعل ﴿ فيه ﴾ على الفعل :﴿ تَخْتَلِفُون﴾ .

* * *

سورة الأعراف :

قال تعالى : ﴿ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ. الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالآخِرَةِ كَافِرُونَ . وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴾ [الأعراف : ٤٤ ـ ٤٦] .

فالجناس هنا بين : (وجدنا ـ وعدنا) ، (الأعراف ـ يعرفون) ، وقد ورد هذا الجناس فى سياق مشهد من مشاهد القيامة ، وقد ارتفع فيه صوت النداء والحوار بين أهل الجنة وأهل النار ، وكأن الصوت الجناسى فى الكلمات الواردة يقوم بتنظيم هذا الإيقاع الصوتى إظهارا للحالة النفسية المسيطرة على كلا الفريقين، فقد « استقر أصحاب الجنة فى الجنة ، واستقر أصحاب النار فى النار ، وإذا الأولون ينادون الآخرين من هناك : ﴿ أن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ﴾ ، وفى هذا السؤال من التهكم المرّ ما فيه ، فالمؤمنون على ثقة من تحقيق الوعيد كتحقق الوعد سواء ، ولكنه سؤال ! ويجىء الجواب من هناك: ﴿ نَعَم ﴾ حيث لا مجال لنكران أو محال . وعندئذ ينتهى الجدل ويغلق الحوار : ﴿ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ ، ثم يتوجه النظر إلى جانب من الساحة ـ ساحة العرض الفسيحة ـ فإذا مشهد آخر ، مشهد ﴿ الأَعْرَاف ﴾ الفاصلة بين الجنة والنار ، وكأنما هى « نقطة مرور » يفرز فيها أهل الجنة وأهل النار ،

---

(١) محيى الدين الدرويش ـ إعراب القرآن الكريم وبيانه ـ دار اليمامة وابن كثير ـ دمشق ـ بيروت ـ ط٧ ـ ١٩٩٩م ـ جـ٢ ، ص٥٠٥ .

فيوجّهونهم إلى حيث هم ذاهبون ، ويشيعون كلا منهم بما يستحق من تحقير أو تكريم » (١) .

* * *

سورة التوبة :

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ ﴾

[التوبة : ٣٨]

فالجناس هنا بين : (الأرض ـ أرضيتم) وهو بجرسه القارع للقلوب يوقظ النفس من غفلتها . . إن هذا (الرضا) بالحياة الدنيا يربطهم بـ ﴿ الأَرْضِ ﴾ بالتراب . . بالذل والهوان و« تسمع الأذن كلمة ﴿ اثَّاقَلْتُمْ ﴾ فيتصور الخيال ذلك الجسم المثاقل يرفعه الرافعون فى جهد ، فيسقط من أيديهم فى ثقل » (٢) .

قال تعالى : ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾[التوبة:١٠٩].

هنا مقابلة بين صورتين . . صورة التقوى والرضوان ، وصورة الكفر والعصيان ، والمشهد يقوم على التصوير التجسيمى على سبيل الاستعارة الواردة فى سياق الاستفهام الإنكارى ، فتتخيل النفس صورة هذا البناء المؤسس الثابت والراسخ فى الأرض ، وصورة ذلك البناء الذى بناه صاحبه على طرف حفرة كبيرة فسقطت به .

ونكاد نسمع هذا الصوت المدوى من أثر الانهيار ، قد قام بصنعه الجناس المكرر بين : (هَارٍ ـ فانهار ـ نار) وهو مع عنف هذا الصوت ، يرسم حركة عنيفة لهذا الانهيار ، فنرى التهلهل فى جسم هذا الجُرُف (الوادى) الذى لا يلبث

(١) سيد قطب ـ مشاهد القيامة فى القرآن ـ القاهرة ـ دار الشروق ـ ط١٢ ـ ١٩٩٣م ـ ص١٠٦ .

(٢) سيد قطب ـ النقد الأدبى أصوله ومناهجه ـ القاهرة ـ دار الشروق ـ ط٦ ـ ١٩٩٠م ـ ص٤٠ .

أن يسقط بمجرد بنائه ، ليفاجأ ذلك الإنسان بمصيره المهين : ﴿ فِي نَارِ جَهَنَّم ﴾ .

قال تعالى : ﴿ مَا كَانَ لأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلا نَصَبٌ وَلا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلاَ يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [التوبة : ١٢٠] .

فوقع جناس الاشتقاق فى موضعين فى الآية .. ﴿ يَطَئُونَ مَوْطِئًا ﴾ ـ ﴿وَلا يَنَالُون ... نَّيْلا ﴾ ، وفيه إثارة تحفز النفس الإيمانية لتلقى الصعاب وتحملها فى صبر ورضا ، فهم لا يضعون أقدامهم على مكان من الأرض فى سبيل الله ، ولا يصيبون عدوهم إصابة ، إلا كان ذلك فى ميزان حسناتهم ، وقد زاد من هذه الإثارة الإيمانية ، مجىء هذا الجناس فى سياق أسلوب القصر عن طريق النفى والاستثناء ، وتكرار النفى (لا) ، وتوكيد الأسلوب عن طريق النفى والاستثناء دون غيره من أساليب التوكيد يفيد إزالة التردد والتكاسل الذى انتاب البعض ، وقد عاتبهم الله تعالى فى صدر الآية بقوله : ﴿ مَا كَانَ لأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ﴾ .

* * *

سورة يوسف :

قال تعالى : ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴾ [يوسف : ٥٤] .

ونشعر بالتمكين والتثبيت والائتمان فى الوقع الصوتى للجناس المكرر : ﴿مَكِينٌ أَمِين ﴾ وقد عمل المد الصوتى للحرف اللين على استشعار هذا التمكين وتصور المكانة الرفيعة والمنزلة العالية لنبى الله يوسف عليه السلام .

قال تعالى: ﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ

فَهُوَ كَظِيم ﴾ [يوسف : ٨٤] .

فالصوت الجناسى الصادر من ﴿ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُف ﴾ يوحى بالأسى والحزن اللذين يعتصران قلب أبى يوسف ـ عليهما السلام ـ فالكلمات ترسم المشهد مجسدا من الإعراض ﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُم ﴾ والقول الحزين المتقاطر حسرة وألما ﴿ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُف ﴾ والجمع بين الرسم الخارجى والنفسى لشخصية يعقوب عليه السلام فى هذا الموقف ، فإذا العينان قد تلاشى ضوؤهما من الحزن والبكاء ، وإذا القلب يشتعل حزنا على الفراق .

* * *

سورة الرعد :

قال تعالىٰ : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآب . كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَا أُمَمٌ لِّتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لا إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَاب ﴾ [الرعد : ٢٩ ، ٣٠] .

فوقع الجناس بين : (مآب ـ متاب) وله صوت هادئ شجى ، يبعث على الخشوع ويحفز النفس إلى العمل الصالح والتقرب إلى الله عز وجل .

وقد ورد الجناس فى الآية الأولى فى سياق العطف وحسن التقسيم البديع ، فقال جل شأنه : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَات ﴾ فأثار الأذهان وعلق القلوب إلى الجزاء والمكافأة فكانت : ﴿ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآب ﴾ فكان : ﴿ طُوبَىٰ لَهُم ﴾ أى الحياة الطيبة هى جزاء الإيمان ، ﴿ وَحُسْنُ مَآب ﴾ جزاء العمل الصالح .

أما الجناس الآخر قد ورد فى سياق التقديم المفيد للتخصيص والحصر: ﴿ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَاب ﴾ فقدم المتعلق بالفعل ﴿ عَلَيْهِ ﴾ على فعله ﴿ تَوَكَّلْت ﴾، وقدم الخبر ﴿ وَإِلَيْهِ ﴾ على المبتدأ ﴿ مَتَاب ﴾ فلفت الانتباه إلى ارتباط التوبة بالتوكل .

* * *

سورة إبراهيم :

قد يأتى الجناس متتابعا محدثا بإيقاعه وجرسه الموسيقى دويا نفسيا ويقظة قلبية، تصفو النفس على أثرها لتلقى المعنى المراد . .

قال تعالى : ﴿ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ. وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيد ﴾ [إبراهيم : ١٤ ، ١٥] .

فنسمع الضربات الصوتية الممدودة المتلاحقة تلاحق الأمواج الهادرة فى الكلمات : (خاف ـ خاب) و (وعيد ـ عنيد) .

فالجو النفسى مشحون بالرهبة والخوف وشيوع الوعيد ، والوقوف بالنفس على خيبة الجبار العنيد الذى كان صلدا وصلبا جافيا فى الدنيا ، فإذا به يتهاوى فى انهيار مهيل !!

* * *

سورة الحجر :

قد يأتى الجناس مشيرا إلى أصل الخلقة للكائن الحى ، فيدق بجرسه الصوتى ليوقظ هذه الحقيقة التى قد تغفل عنها النفس وتنساها فى خضم الحياة فتكون من الهالكين . . .

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ. وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ ﴾ [الحجر : ٢٦ ، ٢٧] .

فبين (مسنون ـ السموم) جناس ناقص مضارع،وهو يلفت الذهن بهذا الصوت المتردد بين تلك الأحرف إلى أصل الخلقة للإنسان والجان،فالأول من حمأ مسنون ـ أى: طين متغير ـ والآخر من نار السموم ـ أى: شديدة الحرارة ـ وكان من مظاهر التنويع الأسلوبى الذى يتماشى مع هذا التردد الصوتى أن الفعل قد جاء أولا فى الحديث عن خلق الإنسان ، بينما جاء الاسم أولا فى الحديث عن خلق الجان .

وربما ارتفع صوت الجناس فى شدة تقرع النفوس، حتى نكاد نقف على المشهد السمعى للواقعة، فنرى أثرها فى نفوس القوم الهالكين، وقد خروا صرعى من صاعقة الصيحة، وذلك كما فى قوله تعالى: ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴾ [الحجر: ٨٣].

* * *

سورة النحل :

قد يأتى الجناس بإيقاعه الصوتى ليضرب على أوتار القلوب فيلفتها إلى عظيم قدرة الله تعالى فى خلقه ، فنسمعه وهو يعزف فى تناسق فنى بديع ، فيطوف بنا مع الأنعام والماشية والنحل وما يقابل ذلك مما حرمه الله من لحوم .

قال تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴾ [النحل: ٦].

فوقع الجناس بين : (تريحون - تسرحون) فتناسق النغم الصوتى مع الجمال الحسى المشاهد فى هذه الماشية والأنعام حين خروجها صباحًا ورجوعها عشيا .

وينقلنا الجناس بإيقاعاته المتنوعة إلى مخلوق آخر بديع الصنع عجيب الأداء. قال تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ . ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ . وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾[النحل: ٦٨-٧٠].

فهذه الحشرة العجيبة تحمل بداخلها مصنعا عجيبا ينتج هذا الغذاء العجيب الذى فيه شفاء للناس ، فكان صوت الجناس الناقص المثير للعجب الذى نجده فى (كلى - كل) . . ولا شك أن هذا الرنين الصوتى ينفذ إلى القلب عبر الآذان فتطرب له النفس وتتهيأ لتلقى ما يُلقى فى روعها ، وهو ما أدته فى صفاء رائق جملة صوتية أخرى فى الجناس بين : (يتفكرون - يتوفاكم) ، وهى أصوات متراكبة تشد من أزر بعضها فى ترابط معنوى جميل ، يدعو إلى التفكر فى عجائب قدرة الله تعالى ، فيعمل الإنسان لما بعد الموت .

وعلى جانب آخر قد أدلى الجناس بدلوه الصوتى فى سياق هذه السورة الكريمة، فهو يرفع جرس الإنذار محذرا الإنسان من تناول أنواع معينة من الحيوانات، وهو ما نسمعه فى الجناس المضارع الناقص بين (حرم ـ لحم)، وذلك فى قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ...﴾ [النحل : ١١٥] .

* * *

سورة الإسراء :

تموج هذه السورة الكريمة بالإيقاع السريع الخاطف ، الموقظ للذهن والقلب ، فى مجال الحديث عن العقيدة والتوحيد ، وكان من بديع الأسلوب أن ينتشر الجناس بين آيات السورة ناشرا موجاته الصوتية المتفاوتة بين الشدة واللين ، وذلك كالجناس المرفوّ (مترفيها ـ فيها) فى قوله تعالى :﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ ﴾ [الإسراء: ١٦] .

والجناس العكسى ، أو جناس القلب الناقص بين (عجلنا ـ جعلنا) فى قوله تعالى : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ ﴾ [الإسراء:١٨]. والجناس اللاحق بين:﴿ مَّيْسُورًا ﴾ ـ ﴿ مَّحْسُورًا ﴾ فى قوله تعالى : ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلاً مَّيْسُورًا .وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾[الإسراء:٢٨ ،٢٩] .

وجناس الاشتقاق بين : ﴿ قَرَأْتَ الْقُرْآنَ ﴾ فى قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴾ [الإسراء : ٤٥] .

والجناس اللاحق بين:(خليلا ـ قليلا) فى قوله تعالى:﴿ وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لاتَّخَذُوكَ خَلِيلاً . وَلَوْلا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلاً ﴾ [الإسراء : ٧٣ ، ٧٤] .

* * *

سورة الكهف :

يقع الجناس المكرر موقعا قويا فى النفس مثيرا للذهن وذلك لتلاحق الكلمتين بحروفهما المتجاورة ، ونسمع هذا الصوت الشجى فى قوله تعالى : ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ﴾ [الكهف : ١٤] .

فجانس بين: (قَامُوا ـ فَقَالُوا) جناسا ناقصا مكررا راسما المشهد الفنى فى تناسق حركى وصوتى يجسم الحدث بإيحاءاته الإيمانية والروحية، من الربط على القلوب، والنهوض غير المتردد فى يقين وثبات ، إلى الجهر بالعقيدة وتحمل تبعاتها.

يقول تعالى : ﴿ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا. وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴾ [الكهف : ١٧ ، ١٨] .

وقع الجناس هنا فى الكلمات: (طَلَعَت ـ اطَّلَعْتَ) ، (لَوَلَّيْتَ ـ لَمُلِئْتَ) . . وهذا المشهد « تصويرى عجيب ، ينقل بالكلمات هيئة الفتية فى الكهف ، كما يلتقطها شريط متحرك ، والشمس تطلع على الكهف فتميل عنه كأنها متعمدة . ولفظ ﴿ تَزَاوَرُ ﴾ تصور مدلولها وتلقى ظل الإرادة فى عملها ، والشمس تغرب فتجاوزهم إلى الشمال وهم فى فجوة منه .

وقبل أن يكمل نقل المشهد العجيب يعلق على وضعهم ذاك بأحد التعليقات القرآنية التى تتخلل سياق القصص لتوجيه القلوب فى اللحظة المناسبة : ﴿ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ ﴾ . . وضعهم هكذا فى الكهف والشمس لا تنالهم بأشعتها وتقرب منهم بضوئها ، وهم فى مكانهم لا يموتون ولا يتحركون » (١) .

---

(١) فى ظلال القرآن ، جـ٤ ، ص٢٢٦٣ .

يقول تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالا . الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا . أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴾ [الكهف : ١٠٣ ـ ١٠٥].

حمل هذا المشهد واقعا أليما ومريرا بيّن حال هؤلاء المخدوعين بأنفسهم وأعمالهم، وجاء صوت الجناس ليقرع آذانهم فيوقظ قلوبهم من هذه الغفلة، فجاء صوته قويا عنيفا متقارب المواقع، وذلك فى الجناس المصحف بين(يحسبون ـ يحسنون) وجناس الاشتقاق بين: (نقيم ـ القيامة) . . وكان هذا الوقع الجناسى فى سياق بلاغى بديع، بدأ بالإثارة الذهنية عن طريق تركيب الأسلوبين الإنشائيين: (قل ـ هل) وإيثار ﴿ نُنَبِّئُكُم ﴾ على (نخبركم) لما فى الأول من دلالة على الأهمية والخطورة، وتقديم الخسران على الأعمال ﴿ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالا ﴾ . لتربية الرهبة والحذر . . ثم تفصيل ذلك الإجمال المخيف: ﴿ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُم ﴾ ، وكما قدم الخسران على الأعمال ، قدم الإحسان على الصنع : ﴿ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ وفى ذلك تناسق أسلوبى بين مدى حسرة هؤلاء يوم القيامة عندما يأتيهم العذاب من موضع إحسانهم المزعوم .

* * *

سورة مريم :

لا بد أن يكون للجناس فى القرآن الكريم مذاق خاص، فهو ـ من غير شك ـ جناس معجز جاء عن طريق الكلمة ، والكلمة التى نزل بها القرآن الكريم «معروفة متداولة ، يعرفها النبى ﷺ قبل أن تكون قرآنا ، كما يعرفها العرب قبل أن تنزل عليهم من السماء . . معجزة متحدية ! وهى هى فى حاليها قبل أن تكون قرآنا ، وبعد أن كانت . . اللفظة هى اللفظة ، والعبارة هى العبارة . . ومع هذا فقد وجد العرب لهذه الألفاظ ، وتلك العبارات فى محيط القرآن وقعا جديدا على آذانهم ، وسلطانا قاهرا على قلوبهم »(١) .

(١) عبد الكريم الخطيب ـ إعجاز القرآن ـ القاهرة ـ دار الفكر العربى ـ ط١ ـ ١٩٦٤م ، جـ١ ، ص٦٦.

وسورة مريم من السور المكية التى تعالج قضية التوحيد والعقيدة ، وكان للجرس الموسيقى النابع من الجناس المنتشر فى السورة دوره فى تجلية المعنى لذهن موقظ وقلب منتبه ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا . قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴾ [مريم: ٢٩ ، ٣٠].

فالصوت الموسيقى ينبع من الجناس بين (صبيا ـ نبيا) فى سياق السجع أو توافق الفاصلة، وهو صوت قوى خاطف موقظ للنفس، لكى تنتبه لهذا الحدث العجيب والغريب، وهذا النغم الصوتى قام بتأليف تصويرى منسجم بين حركة الإشارة ، ورد الفعل التعجبى من قوم مريم، إلى الإعجاز المذهل فى تكلم عيسى عليه السلام .

قال تعالى : ﴿ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا . قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴾

[مريم: ٤٥ ، ٤٦]

(وليا . . مليا) : جناس غير تام، وهو جناس لاحق لتباعد مخرج الحرفين المختلفين، الواو والميم ، وقد أكسب الأسلوب جمالا فنيا بما أضافه « إلى النسق اللغوى من انسجام وتناسب وتآلف فى البناء الصوتى يثرى المعنى ويغنى الصياغة اللغوية . . وهو أسلوب فنى فى التعبير يضيف إلى الفكرة ، ويزيد فى جمال العبارة » [1] .

وقد جاء الجناس فى سياق بلاغى بديع ، جمع بين الإنشاء والخبر المرصعين بجواهر الكلمات ، فقال : ﴿ يَمَسَّكَ ﴾ ولم يقل يلمسك ؛ لأن « اللمس يكون باليد ليعرف اللين من الخشونة ، والحرارة من البرودة، والمس يكون باليد وبالحجر وغير ذلك ولا يقتضى أن يكون باليد، ولهذا قال تعالى: ﴿ مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ ﴾ وقال : ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ ﴾ ولم يقل يلمسك » [2] .

---

(١) د. عبد الفتاح عثمان ـ دراسات فى المعانى والبديع ـ القاهرة ـ مكتبة الشباب ـ بدون تاريخ ص١٧٤ .

(٢) أبو هلال العسكرى ـ الفروق اللغوية ـ بيروت ـ دار الآفاق الجديدة ـ ط١ ـ ١٩٧٣م ، ص٢٩٩ .

ونكر ﴿ عَذَاب ﴾ للشمول، أى عذاب ما ، فهو عذاب هائل وإن كان قليلا، وذكر ﴿ الرَّحْمَن ﴾ فى مقام العذاب ، ولم يقل مثلا : (عذاب من الجبار) لإثارة الحمية فى نفس آزر فيلتفت إلى رحمة الله تعالى ، وإنه ما ينبغى له أن يستجلب العذاب من الله ـ الموصوف بالرحمة ـ بسبب شركه .

وفى الحوار عجب لموقف إبراهيم عليه السلام الذى نادى أباه بأدب وتلطف ﴿ يَا أَبَت ﴾ ولم يقل (يا أبى) ، فيرد أبوه فى قسوة وغلظة : ﴿ يَا إِبْرَاهِيم ﴾ ولم يقل : (يا بنى) ، و « قدم الخبر على المبتدأ فى قوله : ﴿ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيم ﴾ لأنه كان أهم عنده وهو عنده أعنى ، وفيه ضرب من التعجب والإنكار لرغبته عن آلهته، وأن آلهته ما ينبغى أن يرغب عنها أحد » [1] .

وقد توالى صوت الجناس بإيقاعه المتموج ، يشد من أزر المعنى ويسوقه فى صفاء وقوة ، ومن ذلك الجناس بين : (نَبيا ـ نَجيا) فى الآيتين :

﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا . وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴾ [مريم ٥١ ، ٥٢] .

وقد ساعد على الانسجام الصوتى للجناس ، هذا التوزيع الإيقاعى والتكرار فى : (كان مخلصا .. وكان رسولا نبيا .. وناديناه .. وقربناه) .

ومن ذلك أيضا الجناس بين : (نسيا ـ سميا) فى الآيتين :

﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلاَّ بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا . رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾

[مريم ٦٤ ، ٦٥]

فالعلاقة وطيدة وراسخة بين اللفظ والمعنى والصوت فى : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ ، ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ ، فلا شبيه ولا مثيل لله تعالى ، ولا أحد يجرؤ

---

(١) الكشاف ، جـ٣ ، ص٢٠ .

على التسمى باسمه جل شأنه ، ومن صفات هذه الألوهية ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ .

ومن ذلك ـ أيضا ـ الجناس بين : (إدا ـ هَدا) فى الآيتين :

﴿ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا . تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴾ [مريم : ٨٩ ، ٩٠] .

لقد جاء المشركون بالشرك .. جاءوا شيئا إدا ، أى منكرا عظيما ، واللفظ مع تكوينه اللغوى والصوتى ، يوحى بمدى فداحة القبح وشناعته ، وفى قوله : ﴿إدًّا ﴾ مع : ﴿ تَخِرُّ الْجِبَالُ ﴾ تصوير حركى وصوتى لوقع الخرور للجبال وهدها، وقد زاد المشهد تجسيما بهذا التوزيع الصوتى فى : يتفطرن .. وتنشق .. وتخر ، وهو توزيع صوتى : « يسمح لكل لفظ بأن يشع شحنة من الصور،والإيقاع الذى يؤلف إيقاعا متناسقا بين الألفاظ،وظلالا متناسقة كذلك من ظلال الألفاظ »[1].

* * *

سورة طه :

لعب الجناس دورا بارزا فى الإيقاع الصوتى فى هذه السورة ـ أيضا ـ وهى من السور المكية التى تعالج مسألة التوحيد والعقيدة ، وقد ورد الجناس فى عدة مواضع منه ما كان متباعدا فى المكان ، ومنه ما كان متقاربا فى المكان ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ قَالَ يَا بْنَؤُمَّ لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴾ [طه : ٩٤] .

فالجو المسيطر على المشهد هنا ، جو فيه عنف وصخب وانفعال ، وكان من الطبيعى أن يصاحب ذلك صوت موسيقى صاخب ، قد نشأ من القلب أو العكس بين كلمتى الجناس فى : ﴿ تَقُولَ فَرَّقْتَ ﴾ ، وقد زاد من قوة هذا الصوت وقوع الكلمتين متجاورتين فى المكان .

---

(١) النقد الأدبى للأستاذ سيد قطب ص٤٣ .

ومن ذلك الصوت الصاخب - أيضا - الجناس بين : (نفسى - نسفا) فى قوله تعالى : ﴿ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي . قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَن تَقُولَ لا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُ وَانظُرْ إِلَىٰ إِلَٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴾ [طه : ٩٦ ، ٩٧] .

فنسمع هذا الترديد الصوتى والنغم الإيقاعى من أثر الجناس بين : (نفسى - نسفا) ، وهو صوت صاخب يبرز هذا المشهد بما فيه من حدة وانفعال ، فلا يكاد هذا الصوت يتطاير إلى الآذان ، حتى يتخيل القارئ أن نفس السامرى سوف تنسف مع هذا الإله المزعوم المحروق .. وما من شك أن العرب يعرفون هذه الأصوات فى كلامهم ، ولكنها فى القرآن « مظهر غريب لإعجازه المستمر ، لا يحتاج فى تعريفه إلى رؤية ولا إعنات ، وما هو إلا أن يراه من اعترض شيئا من أساليب الناس حتى يقع فى نفسه معنى إعجازه ؛ لأنه أمر يغلب على الطبع وينفرد به فيبين من نفسه بنفسه، كالصوت المطرب البالغ فى التطريب : لا يحتاج امرؤ فى معرفته وتمييزه إلى أكثر من سماعه »[1] .

* * *

سورة الأنبياء :

قال تعالى : ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾ [الأنبياء : ٢٨] .

فوقع الجناس بين كلمتى : (يشفعون - مشفقون) ، وهذا الجرس الموسيقى الناشئ من الوقع اللفظى للكلمتين ، إنما يشد الذهن إلى ارتباط متبادل بينهما ، فهذه الشفاعة مرتبطة بالإشفاق من خشية الله تعالى ، وهناك صوت موسيقى آخر ، قد نشأ من تكرار حرف (الشين) فى هذا السياق ، وذلك فى كلمات

(١) مصطفى صادق الرافعى - إعجاز القرآن والبلاغة النبوية - القاهرة - مطبعة الاستقامة - ط٤ - ١٩٤٥م ، ص٢٢٩.

(يشفعون ـ خشيته ـ مشفقون) ، وتضافر هذه الأصوات يعمل على إيقاظ الذهن، وبث الخشية والشفقة فى سكينة من النفس .

يقول تعالى : ﴿ لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلا عَن ظُهُورِهِمْ وَلا هُمْ يُنصَرُونَ . بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ [الأنبياء : ٣٩ ، ٤٠]

وقع الجناس بين كلمتى:(ولا ينصرون ـ ولا ينظرون) ، فلا نصر ولا إمهال لرجوع وتوبة ، ومجىء هذا الصوت بإيقاعه الشديد فى سياق تكرار النفى: (لا يكفون ـ ولا عن ظهورهم ـ ولا هم ينصرون ـ فلا يستطيعون ـ ولا هم ينظرون) يعكس جوا نفسيا يبين أثر هذه الأحداث من حسرة وتحير فى قلوب هؤلاء القوم .

وقد زاد من حدة هذا الصوت الجناسى ، أنه قد أتى فى سياق حذف جواب ﴿لَو﴾ ، وقد أضفى هذا الحذف ـ أيضا ـ جوا من المهابة والشعور بقرب وقوع الوعيد وسرعته .

قال تعالى : ﴿ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِين. وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُم مِّنَ الصَّالِحِينَ . وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِين. فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ . وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ . فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ [الأنبياء ٨٥ : ٩٠] .

يتحدث هذا السياق فى الآيات الكريمة عن أنبياء الله الصالحين : إسماعيل وإدريس وذا الكفل ويونس وزكريا ويحيى عليهم السلام ، ولما كان الحديث عنهم بيانا للصلاح والصبر والتضرع بالدعاء إلى الله ، جاء الجناس منتشرا فى الآيات ناثرا إيقاعا هادئا يبعث على الخشوع والتضرع إلى الله تعالى .

فنسمع ذلك الصوت الهادئ الخاشع فى الجناس بين كلمتى: (الصابرين-الصالحين) وكأن صفير (الصاد) فى الكلمتين يبعث فى النفس السكينة والوقار ، بينما نجد صوتا آخر يعلو شيئا فشيئا، فيدفعنا دفعا إلى الابتهال والتضرع ، وذلك فى الجناس الواقع بين كلمتى: (الظلمات - الظالمين) والسياق هنا محاط بالمناداة ﴿ فَنَادَى ﴾ وقد أوحى حرف المد المتكرر فى الكلمة بامتداد هذه المناجاة وحرارة الدعاء .

ومع هذه الأصوات المتداخلة ، نسمع صوتا آخر يأتى إتيانا خاطفا سريعا وذلك فى الجناس بين كلمتى ﴿ رَغَبًا وَرَهَبًا ﴾ وهو صوت يتباين فى القوة والارتفاع ومبعثهما حرف (الغين) فى ﴿ رَغَبًا ﴾ والهدوء والخشوع ومبعثهما حرف الهاء فى ﴿ وَرَهَبًا ﴾ ، فالحروف « تجرى من السمع مجرى الألوان من البصر ، ولا شك فى أن الألوان المتباينة إذا جمعت كانت فى المنظر أحسن من الألوان المتقاربة ، ولهذا كان البياض مع السواد أحسن منه مع الصفرة ، لقرب ما بينه وبين الأصفر وبعد ما بينه وبين الأسود » [1] .

* * *

سورة الحج :

هذه السورة مدنية تتناول بعضا من الأحكام التشريعية « إلا أنه يغلب عليها جو السور المكية ، فموضوع الإيمان والتوحيد والإنذار والتخويف وموضوع البعث والجزاء ، ومشاهد القيامة وأهوالها ، هو البارز فى السورة الكريمة ، حتى ليكاد يُخيل للقارئ ، أنها من السور المكية ، هذا إلى جانب الموضوعات التشريعية من الإذن بالقتال وأحكام الهدى ، والأمر بالجهاد فى سبيل الله . . . » [2] . ونقف مع آيات أحكام الحج والهدى ، لنرى الجناس وقد قام بدور بارز فى التصوير الحركى والسمعى ، فخرج المشهد حيا فى صورة رائقة .

قال تعالى : ﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ

---

(١) ابن سنان الخفاجى - سر الفصاحة - بيروت - دار الكتب العلمية - ط١ - [illegible]م ، ص٦٤ .

(٢) صفوة التفاسير ، جـ٢ ، ص ٢٧٩ .

فَجٍّ عَمِيقٍ . لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ . ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ . ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الأَنْعَامُ إِلاَّ مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ . حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ. ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ . لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ . وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ . الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ . وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الحج : ٢٧ ـ ٣٦] .

فنجد أولى مراحل هذا المشهد ، وهى تعج بالحركة المتدافعة تدافع الأمواج المتلاطمة ، يزحم بعضها بعضا ، وقد رسم ذلك المشهد الجناس الواقع بين كلمتى: (بالحجّ ـ فجّ) والكلمة بحرفها المشدد ترسم شدة حركة الإتيان وثقل التدافع .

وهذه حركة أخرى يرسمها الجناس فى الكلمتين : (وليوفوا ـ وليطوّفوا) ونلمح شدة حركة الطواف فى الصوت الناشئ من الواو المشددة ، وهو ما لم يحدث فى ﴿ وَلْيُوفُوا ﴾ .

وفى مشهد آخر قام الجناس بدور رائق فى رسم صورة صوتية وحركية فى موضعين متقابلين. . موضع الإيمان المتجلى فى تعظيم حرمات الله ، ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ ، وموضع الشرك ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ .

فكان الجناس بين (خير ـ خرّ) ، فالكلمة الأولى ﴿ خَيْر ﴾ لها وقع لطيف فى النفس ، ولها إيقاع هادئ على الأذن ، وذلك يناسب الخيرية التى أعدها الله للمؤمنين لتعظيمهم حرمات الله تعالى . .

والكلمة الثانية ﴿ خَرَّ ﴾ لها وقع أليم وصوت عنيف يرسم شدة هذا الخرور وهوله ، وذلك فى سياق التشبيه التمثيلي الذى أبرز المشهد فى صورة حركية خاطفة فانظر « لقد خرّ من السماء ، انظر : لقد خطفته الطير . انظر : لقد هوت به الريح فى مكان سحيق . انظر : لقد اختفى المسرح ومن فيه !

ولم هذه السرعة الخاطفة ؟ لئلا يتوهم أحد أن لمن يشرك بالله منبتا أو وجودا أو قرارا أو امتدادا ، مهما يبلغ من الحسب والقوة والجاه والبنين ، إنما يأتى فى ومضة من المجهول ، ليذهب فى ومضة إلى المجهول !! »[1] .

وهناك أصوات أخرى بعث بها الجناس فى سياق يبعث على الخشوع والثبات النفسى ، فنسمع هذا الإيقاع الهادئ الصادر من المجانسة بين قوله تعالى : ﴿وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ﴾ وهذا التلازم الصوتى والتجانس الإيقاعى يوحى للنفس بوجوب الصبر على المصيبة وهذا من أثر خشوع القلوب المذكور سابقا فى قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ .

وهذا الصوت الجناسى الآخر بين الكلمتين : (وجلت ـ وجبت) وبين الكلمتين : ﴿ وَجَبَتْ جُنُوبُهَا ﴾ قد جاء فى سياق مشرق بالإيمان والخوف من الله تعالى ، فالرجفة والرهبة التى فى القلوب ﴿ وَجِلَت ﴾ تملأ النفس بإخلاص النية لله فى أداء شعائر الله ـ سبحانه ـ وفى إخلاص الذبح لله .

وثمة صوت آخر جهورى ، قوى الإيقاع ، شديد الأخذ بالنفس ، وذلك فى الجناس بين الكلمتين : (نصير ـ المصير) فى قوله تعالى : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ . وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ

(١) سيد قطب ـ التصوير الفنى فى القرآن ـ القاهرة ـ دار الشروق ـ ط١٤ ـ ١٩٩٣م ، ص١٣٢ .

آياتنا قل أفأنبئكم بشر من ذلكم النار وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير ﴾

[الحج : ٧١ ، ٧٢]

وهذا الجناس قد ورد فى سياق آيات العقيدة ، والوعيد للكافرين ، ولذلك فقد كان صوته جافا عاليا . . فالكلمة الأولى ﴿ نصير ﴾ قد جاءت نكرة فى سياق النفى فأفادت العموم والشمول ، فلا نصير لهم على الإطلاق ، وفى هذا إيقاع عنيف يصيب نفوسهم بالحسرة والألم . . والكلمة الثانية ﴿ المصير ﴾ قد جاءت فى سياق أسلوب الوعيد والذم : ﴿ النار وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير ﴾ فجاءت الكلمات وكأنها نار تصب فوق رؤوس الكافرين .

* * *

سورة المؤمنون :

هذه السورة الكريمة سورة مكية من سور التوحيد والإيمان ،وها هو ذا عنوانها يدل على فحواها الذى يعرض دلائل قدرة الله تعالى ووحدانيته فتكون سببا فى صنع المؤمنين المخلصين ، وقد أدت الألوان البلاغية دورها فى إبراز المعانى والمشاهد الحية ، وكان من بين هذه الألوان البلاغية : الجناس .

يقول تعالى : ﴿ وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الأرض وإنا على ذهاب به لقادرون ﴾ [المؤمنون : ١٨] .

فوقع الجناس بين الكلمات(السماء ـ ماء)،(بقدر ـ لقادرون)، فـ﴿أنزلنا﴾ فيها العلو، و﴿ السماء ﴾فيها ـ أيضا ـ العلو، وما فيها من صوت ممدود هى وكلمة ﴿ماء﴾ يوحى بمدى هذا العلو والارتفاع اللذين يأخذان بالقلوب والأعناق إلى مصدر هذه النعم ، فتعلم هذه القلوب غاية ارتفاع هذه القدرة وعلوها عن قدرة الخلق.

وبعد هذه الأصوات الممدودة ، جاء صوت قصير فى سرعة خاطفة فى كلمة ﴿ بقدر﴾ فأحدث تموجا صوتيا كأنه ينزل من أعلى إلى أسفل ليناسب السكن فى الأرض ﴿ فأسكناه في الأرض ﴾ . .

ثم يعلو بعد ذلك الإيقاع الصوتى من خلال الجناس فى الكلمة الممدودة ﴿لَقَادِرُون﴾ فيلفت الذهن إلى ما فى هذا الأسلوب الخبرى من نذير ووعيد ، لأن الآية فى صدرها عرض لقدرة الله تعالى فى إنزال الماء بمقدار فيه صلاح العباد ، وفى ذلك حث على الإيمان بالله وشكره ، وإلا فالله تعالى : ﴿ عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُون ﴾ .

وقد جاء الجرس الصوتى للجناس فى هذه الكلمة ﴿ لَقَادِرُون ﴾ قويا شديدا يناسب ما فى الأسلوب من وعيد وتهديد ، وقد زاد من حدته ، اشتمال الكلمة على صوتين ممدودين ، هما : الألف والواو ، واشتمالها ـ أيضا ـ على الصوت المجهور فى الراء ، هذا فضلا عن مجىء هذا الجناس فى سياق تركيبى مؤكد بـ﴿إِنَّا﴾ و (اللام) ،وفى تقديم شبه الجملة ﴿ عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ ﴾ على خبر إن ﴿لَقَادِرُونَ﴾ إثارة للأذهان وقرع للقلوب يعمل على إيقاظها ، خاصة وقد اشتمل الأسلوب على حرف الاستعلاء ﴿ عَلَى ﴾ وعلى التنكير فى ﴿ ذَهَاب ﴾ الذى يفيد التهويل وتصوير الهلاك المرتب على إذهاب الماء .

وثمة أصوات أخرى تنبعث فى شدة وغلظة ، قد نشأت من الكلمات الواردة فى سياق التهديد والوعيد . . يقول تعالى :

﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُون. لا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُم مِّنَّا لا تُنصَرُونَ .قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنكِصُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٤-٦٦].

وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ . وهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُون ﴾ [المؤمنون: ٧٨ ، ٧٩] .

فجاء الجناس اللاحق فى المشهد الأول بين الكلمتين: (لا تنصرون ـ تنكصون) وقد جاءت الكلمة الأولى ﴿ لا تُنصَرُون ﴾ فى الآية الأولى تخبر بوقوع العذاب وعدم النصر ، وجاء الشق الثانى من الجناس ﴿ تَنكِصُون ﴾ تعليلا لهذا العذاب وعدم النصر ، وتنكصون « ترجعون وراءكم ، قال مجاهد : تستأخرون ، وأصله

أن ترجع القهقرى . قال الشاعر :

زعموا بأنهم على سبل النجا ة وإنما نُكُص على الأعقاب

وهو هنا استعارة للإعراض عن الحق » [١] .

وجاء الجناس اللاحق فى المشهد الثانى بين الكلمتين (تشكرون ـ تحشرون).

وقد جاء ـ أيضا ـ فى سياق التذكير بنعمة الله تعالى ، والتبكيت للإعراض عن الطاعة والحق ، وهذا الجناس بين الشكر والحشر ، إنما يثير الذهن ويلفت الانتباه إلى الارتباط والتلازم بينهما . .فالشكر عدة لازمة للوقوف فى يوم الحشر.

* * *

سورة النور :

هذه السورة الكريمة من السور المدنية التى تعالج الأحكام التشريعية ، وقد تحدثت عن الآداب الأسرية وما يتعلق بها من أحكام ، وقد وقف الجناس بإشعاعه الصوتى من خلال الآيات التالية التى حملت الترغيب والترهيب يقول تعالى:

﴿ رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ. لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ . وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ. أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ . أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ . وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرِ. أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن

(١) تفسير القرطبى ، جـ١٢ ، ص ١٣٦ .

جبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالأَبْصَارِ. يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لأُولِي الأَبْصَارِ﴾ [النور: ٣٧ - ٤٤].

هذان مشهدان يعرضان حال المؤمنين والكافرين ، ثم يأتى بعدهما مشهد ثالث يعرض لبعض مظاهر قدرة الله ويحمل فى طياته الوعيد والنذير .. وقد أدى الجناس دورا إيقاعيا متموجا ساهم فى إبراز هذه المشاهد فى صورة حسية متكاملة الأطراف .

فنجد الجناس الاشتقاقى بين: (تتقلب - القلوب) وهو جناس قوى الجرس، شديد الإيقاع ، قد تكوّن من حروف مجهورة وشديدة كالقاف والباء ، والحرف الشديد الذى يمنع الصوت أن يجرى فيه[1] ، وهو بذلك قد رسم مشهدا صوتيا وحركيا لهول الموقف فى هذا اليوم ، فكان شدة خوف المؤمنين متمثلا فى عدم انشغالهم بشىء من زينة الحياة الدنيا عن ﴿ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ﴾ .

وقد أدى الجناس دورا إيقاعيا آخر فى رسم مشهد الكافرين ، فكان فى الكلمات: (يحسبه - حسابه) و (الحساب - سحاب) والحاء والسين هما الحرفان الغالبان فى تلك الكلمات ، وهما من الحروف المهموسة الرخوة [٢] ، وكان من شأن ذلك أن كان الإيقاع الصوتى لتلك الكلمات رتيبا ، يوحى بالجو النفسى والحركى الفاسد لهؤلاء الكافرين ، ويعكس حقيقة أعمالهم فى سياق التشبيه التمثيلى، تارة بالسراب، وأخرى بالظلمات الحالكة فى بحر عميق !!

وثمة صوت جناسى آخر ينبعث من خلال مشهد ثالث يبدأ بذكر صلاة من فى السموات والأرض ، ثم ذكر بعض مظاهر القدرة .. ويأتينا هذا الصوت من الجناس بين تلك الكلمات السابقة وبين كلمة : ﴿ يُسَبِّحُ ﴾ وكأنه إيقاظ لهذه الفئة الضالة من غفلتهم ، ومجىء هذا السياق بعد السياق السابق فيه تبكيت لهذه الفئة التى شذت عن التسبيح مع ﴿ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ ﴾ .

(١ ، ٢) سر الفصاحة ص٣٠ .

والله تعالى يذكرنا بقدرته وبديع صنعه للسحاب الذى يخرج منه المطر النافع، والبرد الضار ، ويذكر بنعمة الليل والنهار وما فيهما من تصريف معجز عجيب ، وقد جاء فى السياق الجناس التام المماثل بين كلمتى: (بالأبصار ـ الأبصار) «وهذا النوع من أكمل أصناف التجنيس وأرفعها رتبة »[1] وكأنه يلفت الأذهان بهذا الإيقاع المتكامل إلى كمال قدرة الله تعالى ورفيع صنعه .

* * *

سورة الفرقان :

هذه من السور المكية التى تعالج العقيدة ، وتتحدث عن القدرة الإلهية وعن المكذبين والمؤمنين ، وها هو ذا الجناس يدلى بدلوه فى الآيات . . يقول تعالى :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيراً ﴾ [الفرقان : ٢٠] .

هذه الجملة ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا ﴾ جملة مستأنفة مسوقة لتسليته ﷺ ، ﴿ وَمَا ﴾ نافية[2] ، وقد جاء الجناس بين : (أتصبرون ـ بصيرا) ، وهو جناس غير تام ، وكأنه يوحى بعدم تمام الصبر بين العباد ، فمنهم من يصبر ومنهم من يجزع ، والله تعالى بصير بهذا وذاك .

وفى سياق ذكر مظاهر القدرة كان الجناس بين قوله تعالى : (لباسا ـ سباتا) وذلك فى الآية الكريمة :

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاساً وَالنَّوْمَ سُبَاتاً وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُوراً﴾ [الفرقان:٤٧].

وهذا الصوت الجناسى قد تداخل مع عدة ألوان بلاغية ، أضفت على إيقاعه رنينا له وقع جميل فى الآذان ، فقد جاء فى سياق التشبيه البليغ ﴿ اللَّيْلَ لِبَاساً ﴾

(١) د. عبد القادر حسين ـ فن البديع ـ ص١٠٩ .

(٢) إعراب القرآن الكريم وبيانه جـ٥ ، ص٣٤٣ .

حيث شبه المولى عز وجل الليل بظلامه باللباس الساتر بنسيجه ، وفى سياق المقابلة بين (الليل لباسا ـ النهار نشورا) ، وقد اتحد مع هذه الألوان والأصوات صوت آخر بديع ، قد نشأ من حسن التقسيم للجمل : (الليل لباسا ـ والنوم سباتا ـ وجعل النهار نشورا) ،وهى أصوات وألوان تنفذ من الآذان والأبصار إلى القلوب فتأخذها أخذا لطيفا .

وفى سياق الآيات التى تصف عباد الرحمن ، أدى الجناس دورا صوتيا يُدَرك بالقلب قبل الأذن ، فيجسد حركتهم وهم يبتهلون إلى الله ، ويصور سلوكهم فى الإنفاق ، وقد كان هذا الجناس بين كلمتى (مقاما ـ قواما) ، وذلك فى قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا . إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا . وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾ [الفرقان : ٦٥ ـ ٦٧]

* * *

سورة الشعراء :

جاء الجناس فى مطلع هذه السورة المكية فى سياق التسرية عن النبى ﷺ ، وفى معرض الحديث عن المكذبين الضالين .

يقول تعالى : ﴿ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ . وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴾ [الشعراء: ٤ ، ٥] .

فوقع الجناس بين كلمتى : (خاضعين ـ معرضين) ، وقد اشتملت الكلمتان على أحرف متباينة الأصوات ، فهذا مدّ بالألف يرتفع بالصوت ، وذاك مدّ بالياء ينخفض بالصوت ، وهذا حرف رخو كالخاء والضاد ، وذاك حرف بين الشديد والرخو كالألف والعين والراء والياء والنون [1] . . وهذا التباين فى تلك الأصوات

---

(١) سر الفصاحة ص٣٠ .

أحدث تموجا إيقاعيا أشاع نسيجا نفسيا هادئا من شأنه أن يبث الطمأنينة والهدوء فى القلب ليكون المعنى « لا تحزن على عدم إيمانهم ، فلو شئنا إيمانهم لأنزلنا معجزة تأخذ بقلوبهم فيؤمنون قهرا عليهم ، ولكن سبق فى علمنا شقاؤهم ، فأرحْ نفسك من التعب » [1] .

وفى مخاطبة الله تعالى لموسى وهارون بأن يذهبا إلى فرعون لدعوته إلى الله وحده، فدار حوار بينه وبينهما، ظهر فيه فرعون بتعنته وإصراره على الإعراض عن الله والصد عن سبيله ، وظهر فى أثناء ذلك الجناس الاشتقاقى بين: (رسول ـ أرْسلْ)، والجناس المكرر الناقص بين ﴿ فَعَلْتَ فَعْلَتَك ﴾ . وذلك فى قوله تعالى : ﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِين . أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ . قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ . وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِين ﴾

[الشعراء : ١٦ ـ ١٩]

والشق الأول من الجناس الاشتقاقى ﴿ رَسُول ﴾ قد جاء مفردا فى سياق المثنى (فأتيا .. فقولا) وهذا لأن الرسالة التى بُعث بها موسى وهارون واحدة ، وكان لتقديم الأسلوب الخبرى: ﴿ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِين ﴾ على الأسلوب الإنشائى الطلبى الذى يحمل الشق الثانى من الجناس: ﴿ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيل﴾ مزية هامة أبلغ فى الإقناع وبث الحكمة والحجة لطلبهما إرسال بنى إسرائيل معهما، وأنهما لم يأتيا من قبل أنفسهما ، وإنما أتيا من قِبَل الله تعالى ، فكان الواجب أن يفطن فرعون لهذا وتطمئن نفسه .

وجواب فرعون الذى حمل الجناس المكرر ﴿ فَعَلْتَ فَعْلَتَك ﴾ وتكرار ﴿فَعَلْت﴾ أدى إلى ظهور جرس قوى ذى نبرات عالية دالة على شدة الغضب الانفعالى الذى يشتعل فى صدر فرعون .

بينما نجد جناسا مصحفا فى قوله تعالى :

(١) صفوة التفاسير ، جـ٢ ، ص٣٧٤ .

﴿ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ . وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ [الشعراء: ٧٩، ٨٠].

وهذا الجناس بين : (يسقين - يشفين) قد حمل صوتا خاشعا هادئا ، فقد ورد فى سياق المناجاة والتضرع لله تعالى ، وجاء بأساليب التوكيد والتخصيص : (والذى هو - هو) ، وفى مناجاة نبى الله إبراهيم عليه السلام ، قد أسند الإطعام والسقيا لله تعالى ، وفى المرض لم يقل : « وإذا أمرضنى ، بل أسند المرض لنفسه تأدبا مع الله ؛ لأن الشر لا يُنسب إليه تعالى أدبا ، وإن كان المرض والشفاء كلاهما من الله » (١) .

قال تعالى : ﴿ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ ﴾ [الشعراء : ١٦٨] .

فجانس بين : (قال - القالين) ، أى : يكره عملهم ويرفضه ، وهو جناس ذو إيقاع شديد يناسب طبيعة الموقف وانفعال نبى الله لوط وغضبه للحق ، وقد ساعد على إبراز ذلك الصوت ، اشتمال الكلمتين على حرف القاف وهو حرف جهورى شديد ، وهذا الجناس « يجمعهما المشابهة وهى ما يشبه الاشتقاق وليس به »(٢) وذلك « لعدم الاشتراك فى أصل المعنى ؛ لأن قال فعل ماض، وقالين اسم فاعل من القلى بمعنى البغض »(٣) .

* * *

سورة النمل :

هذا مشهد عجيب ، أدى فيه الجناس دورا عجيبا فى إبراز لقاء عجيب بين واحد من بنى البشر ، هو نبى الله سليمان عليه السلام ، وواحد من بنى الطير ، هو الهدهد . . يقول تعالى :

---

(١) صفوة التفاسير ، جـ٢ ، ص٣٧٤ .

(٢) الخطيب القزوينى - الإيضاح فى علوم البلاغة - بيروت - دار الجيل - بدون تاريخ - ص٢٢٠ .

(٣) الحسن بن عثمان المفتى - خلاصة المعانى - تحقيق ودراسة: د. عبد القادر حسين - القاهرة - دار الاعتصام - ١٩٩٣م ، ص٤٦٥ .

﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ . لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ . فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾ [النمل : ٢٠ ـ ٢٢] .

فوقع الجناس بين : (لأعذبنّه ـ لأذبحنّه) وهو جناس ذو إيقاع شديد يوحى بطبيعة الموقف والوعيد الذى ينتظر الهدهد لافتقاد سليمان له ، وقد زاد من الوقع الصوتى لهذا الجناس الثقل الحركى فى نطق الكلمتين لاشتمالهما على لام التوكيد والنون الثقيلة ، وتوكيد الفعل بالمفعول المطلق المبين للنوع ﴿ عَذَابًا شَدِيدًا ﴾ .

ونجد فى سياق حديث الهدهد جناسا ذا إيقاع خاص بين : (سبأ ـ بنبأ) وهو جناس ناقص مكرر ، أحدث جرسا موسيقيا عاليا لتلاحق الكلمتين دون فاصل بينهما وهو ينبئ عن ثقة الهدهد وثباته ، فيأتى إلى سليمان عليه السلام وهو رابط الجأش ويقول : ﴿ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾ .

وقد جاء السياق بنسيج قوى من الكلمات المختارة . . فكلمة ﴿ أَحَطتُ ﴾ وتكرارها يدل على العلم الشامل بالأمر الذى يتحدث فيه، وكلمة ﴿ جِئْتُكَ ﴾ تدل على الثقة والثبات وقوة الحجة والمنطق ، وكلمة ﴿ بِنَبَإٍ ﴾ تدل على أهمية الأمر وخطورته ، ولذا آثرها على كلمة (خبر) .

قال الزمخشرى : « وهو من محاسن الكلام الذى يتعلق باللفظ ، بشرط أن يجيء مطبوعا . أو يصنعه عالم بجوهر الكلام يحفظ معه صحة المعنى وسداده، ولقد جاء ها هنا زائدا على الصحة فحسن وبدع لفظا ومعنى . ألا ترى أنه لو وضع مكان بنبأ بخبر لكان المعنى صحيحا ، وهو كما جاء أصح ، لما فى النبأ من الزيادة التى يطابقها وصف الحال » [1] .

وفى مجلس سليمان عليه السلام دار حوار بينه وبين بعض جنده من الجن الذى أراد أن يرفع صوته للدلالة على قوته وثقته ، فجاء الجناس الاشتقاقى بين كلمتى:

(١) الكشاف ، جـ٣ ، ص٣٦٠ .

﴿ تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ﴾ وذلك فى قوله تعالى :﴿ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴾ [النمل:٣٩] .

وجاء الجناس بإيقاع صوتى مسموع ، يحمل صفة الإعلان والاستسلام لله والخشوع ، وذلك بين : ﴿ وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ ﴾ فى قوله تعالى : ﴿ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [النمل:٤٤].

* * *

سورة القصص :

جاء الجناس بين : (استنصره ـ يستصرخه) وذلك فى قوله تعالى :﴿ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنصَرَهُ بِالأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ﴾ [القصص : ١٨] .

وقد رسم الجناس مشهدا صوتيا وحركيا ،تعالى فيه الصراخ وصوت الاستغاثة من الاسرائيلى الذى يطلب النجدة من موسى عليه السلام ، وظهرت حركة موسى عليه السلام يسير على خوف وحذر ، يترقب الناس والطريق .

وعندما تطور هذا الموقف ، ورماه هذا الاسرائيلى المستغيث بالتهم ، وظهر فى ذلك المشهد رجل من أهل الإيمان يأتى ناصحا موسى بالخروج هربا من القتل، كان للجناس دور بارز فى رسم ذلك المشهد ، وذلك فى قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَا مُوسَىٰ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلاَّ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي الأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ. وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴾ [القصص : ١٩ ، ٢٠].

فجاء الجناس بين : (المصلحين ـ الناصحين) وقد رسم موقفا متناقضا بين الرجلين ، فالأول ظن سوءا بموسى عليه السلام وزعم أنه يريد قتله ، وأكدّ هذا بقوله :

﴿ إن تُرِيدُ إِلاَّ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي الأَرْضِ ﴾ فأتى بالنفى والاستثناء ، وأتى بكلمة ﴿جَبَّارًا ﴾ لتوحى بجو التجبر والعربدة فى الأرض الذى أراده هذا الإسرائيلى . . وإمعانا فى تأكيد هذا المعنى ختم قوله بـ : ﴿ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴾ .

وقد رسم الشق الثانى من الجناس ﴿ النَّاصِحِينَ ﴾ موقفا مغايرا للموقف السابق، فتمثلت صورة هذا الرجل الحركية وهو يأتى لاهثا من أجل إنقاذ موسى، وقد رسم هذه الحركة ، العلاقة المعنوية القائمة بين (أقصا ـ يسعى) ، فيظهر الجهد والإجهاد مرسوما على وجه الرجل الذى كان سعيه من مكان بعيد . . وقد اقتضى السياق تنكير كلمة ﴿ رَجُل ﴾ ، فلا حاجة للتعريف ، وقد دلّ « مقام الحديث على الإفراد فتتمحض النكرة للدلالة عليه من غير أن يمحضها لذلك وصف » (١).

وقد أتى الجناس فى مشهد بعث موسى عليه السلام بالرسالة ومخاطبة الله تعالى له، قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ . وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَىٰ أَقْبِلْ وَلا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الآمِنِينَ ﴾ [القصص: ٣٠، ٣١].

فقد رسم الجناس بين (البقعة ـ يعقب) مشهدا صوتيا حسيا ، يعمل على إثارة الانتباه وإيقاظ القلب لهذا المشهد الإيمانى ، فهذه ﴿ الْبُقْعَةِ ﴾ محاطة باليمن ﴿ الأَيْمَنِ ﴾ والبركة ﴿ الْمُبَارَكَةِ ﴾ . ويجمع السياق بين لفظ التوحيد والربوبية ﴿ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ ليرسم له منهج الرسالة فى إقامة العقيدة الصحيحة وتهذيب الأخلاق وتقويم السلوك .

ونجد الانفعال الحركى الذى رسمه الشق الثانى من الجناس ﴿ وَلَمْ يُعَقِّبْ ﴾ ، فكان الذعر والفرار ﴿ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ﴾ مترتبا على رؤية هذا الاهتزاز للعصا

---

(١) د. محمد أبو موسى ـ خصائص التراكيب . دراسة تحليلية لمسائل علم المعانى ـ القاهرة ـ مكتبة وهبة الطبعة الرابعة ـ ١٩٩٦م ، ص٢١٤ .

الذى يشبه اهتزاز الجان . .

ثم تمتلئ ساحة المشهد بالأمن والأمان بعد هذا الذعر والفرار ، وقد أظهر ذلك عدة أساليب : الأسلوب الإنشائى المتمثل فى النداء ﴿ يَا مُوسَى ﴾ الذى يبعث على الطمأنينة والربط على القلب . . والأمر فى ﴿ أَقْبِلْ ﴾ ،والنهى فى ﴿ وَلَا تَخَفْ ﴾ ليزداد بذلك أمانا بعد أمان ، ثم الأسلوب الخبرى المؤكد بإن : ﴿ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴾ .

* * *

سورة العنكبوت :

جاء الجناس فى هذه السورة فى مشهد يتحدث عن الكافرين والمنافقين ، وقد جاء فى موضعين بصورة واحدة ، أما الموضع الأول ففى قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ . وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴾ [العنكبوت : ١٠ ، ١١] .

فجاء الجناس بين : (العالمين ـ ليعلمنَّ) وقد جاءت الكلمة الأولى فى نهاية الآية الأولى وجاءت الكلمة الثانية فى بداية الآية الثانية ، مما أحدث وقعا موسيقيا عاليا نتيجة هذا التجاور المكانى ، فأدى إلى حسن الإصغاء وقوة الانتباه ، وهذا من بلاغة القرآن الكريم وإعجازه الصوتى . .

وقد جاء الجناس فى سياق التشبيه المرسل : ﴿ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ ﴾ إنه تصوير لهؤلاء المذبذبين فى عقيدتهم ، إنهم يعلنون الإيمان بأفواههم ، فإذا أصابهم الأذى انقلبوا على وجوههم فى جزع وهلع ، إنه « يرسم صورة كاملة لنموذج من النفوس فى استقبال فتنة الإيذاء بالاستخذاء ، ثم الادعاء العريض عند الرخاء . يرسمها فى كلمات معدودات ، صورة واضحة الملامح ، بارزة

السمات » (١) .

والله تعالى يعلم خبايا النفوس وما انطوت عليه الضمائر ، وفى سبيل الإثارة الذهنية لهذه الحقيقة العقائدية الخالدة ، تكرر لفظ العلم الإلهى ثلاث مرات : الأولى فى سياق الاستفهام التقريرى التعجبى : ﴿ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ﴾ ؟! والثانية والثالثة فى سياق التوكيد باللام والنون المشددة : ﴿ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴾ .

وقد جاء الجناس فى موضع آخر من هذه السورة الكريمة ، وذلك فى قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ . قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [العنكبوت : ١٩ ، ٢٠] .

والجناس هنا بين : (يسير - سيروا) ، وهو يثير الذهن بهذا الإيقاع الهادئ إلى النظر فى ملكوت الله تعالى والوقوف على مظاهر قدرته ، ويثير الذهن إلى أن (السير) من أجل هذا النظر والاعتبار أمر ﴿ يَسِيرٌ ﴾ .

وقد تنوع الأسلوب بين الإنشاء والخبر .. وقد تمثل الإنشاء فى الاستفهام التعجبى ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴾ ، وأسلوب الأمر ﴿ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ﴾ وغرضه النصح والإرشاد والاعتبار .. وتمثل الخبر فى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ - ﴿ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ . وهى أساليب تفيد مدح القدرة الإلهية عن طريق هذا البيان والتوضيح .

وفى الحديث عن كيفية بداية الخلق وإعادته ، كان ختام الآية بإثبات اليسر والسهولة : ﴿ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ ، وفى الحديث عن النشأة الآخرة يوم البعث ، كان ختام الآية بإثبات القدرة المطلقة : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

(١) فى ظلال القرآن ، جـ٥ ، ص٢٧٢٣ .

وهذا ما يعرف فى علم البديع بتشابه الأطراف .

* * *

سورة الروم :

هذه من السور المكية التى عالجت قضايا التوحيد والعقيدة والإيمان بالله واليوم الآخر ، وقد جاء الجناس فى ذلك السياق فى قوله تعالى :

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُون ﴾ [الروم : ٣٠] .

فجاء الجناس بين (فأقم - القيم) فالأولى بمعنى الإخلاص والثانية بمعنى الاستقامة والقوامة ، وفى قوله تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ﴾ مجاز مرسل علاقته الجزئية ، فأطلق الجزء (الوجه) وأراد الكل وهو الإنسان كله بقلبه وجميع جوارحه ، وعبر بالوجه لأنه الصفحة التى يُكتب عليها ما فى القلب والضمير ، فيُرى أثر الإيمان ونوره فى الوجه الذى يواجه به الناس .

وقوله : ﴿ حَنِيفًا ﴾ أى مائلا عن الباطل ، وفى ذلك طباق بينه وبين (أقم) يزيد المعنى وضوحا وجلالا .

وقد أشار المولى عز وجل إلى الدين ﴿ الْقَيِّم ﴾ بالتعظيم والتضخيم باسم الإشارة ﴿ ذَلِك ﴾ الدال على بعد المكانة وسمو الهدف .. و ﴿ الْقَيِّم ﴾ هو الذى يقوم على غيره ، وبذلك أثبت الأفضيلية المطلقة للإسلام ، وأثبت أنه لا دين بعده إلى يوم القيامة ، وهذا الأسلوب « بديع النظم عجيب التأليف متناه فى البلاغة إلى الحد الذى يعلم عجز الخلق عنه » [١] .

وقد جاء الجناس فى مشهد من مشاهد القيامة فى هذه السورة الكريمة ، وذلك فى قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ

---

(١) الباقلانى - إعجاز القرآن - القاهرة - مطبعة الحلبى - ط١ - ١٩٧٨م - ص١٣ .

كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴾ [الروم : ٥٥] .

فالجناس بين : (الساعة ـ ساعة) وهو جناس تام قد استوفى جميع أركان الكلمة الحرفية والصوتية ، و ﴿ السَّاعَة ﴾ الأولى : القيامة ، والثانية : المدة الزمنية القليلة .

وقد «نازع ابن أبى الحديد فى الآية، وقال: عندى أنه ليس بتجنيس أصلا، وأن الساعة فى الموضعين بمعنى واحد، وإن زمان القيامة ـ وإن طال ـ لكنه عند الله تعالى فى حكم الساعة الواحدة ؛ لأن قدرته لا يعجزها أمر ، ولا يطول عندها زمان ، فيكون إطلاق لفظة ﴿ السَّاعَة ﴾ على أحد الموضعين حقيقة ، وعلى الآخر مجازا ، وذلك يُخرج الكلام من التجنيس » [1] .

والحق أنه تجنيس .. فليس المقصود بـ ﴿ السَّاعَة ﴾ طول أو قصر يوم القيامة، ولكن ﴿ السَّاعَة ﴾ اسم من أسماء يوم القيامة ، وقد « سميت بذلك لأنها تقوم فى آخر ساعة من ساعات الدنيا .أو لأنها تقع بغتة وبديهة، كما تقول: « فى ساعة » لمن تستعجله . وجرت علما لها كالنجم للثريا ، والكوكب للزهرة . وقوله تعالى : ﴿ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ﴾ أرادوا : لبثهم فى الدنيا . أو فى القبور ، أو فيما بين فناء الدنيا إلى البعث » [2] .

* * *

سورة سبأ :

جاء الجناس فى مطلع هذه السورة المكية الذى بدأ بالحمد ، ثم إثبات العلم المطلق لله تعالى ، قال عز وجل : ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُور ﴾ [سبأ : ٢] .

---

(١) الزركشى ـ البرهان فى علوم القرآن ـ تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ـ القاهرة ـ دارالتراث ـ ط٢ ـ بدون تاريخ ، جـ٣ ، ص٤٥١ .

(٢) الكشاف ، جـ٣ ، ص٤٨٦ .

فوقع الجناس بين:(يخرج ـ يعرج) وهو جناس لاحق جاء فى سياق الطباق بين (يلج ـ يخرج) و(الأرض ـ السماء) و(ينزل ـ يعرج) وما صاحب ذلك من تنوع فى الأسلوب : (فى الأرض ـ منها ـ فيها) فأحدث ذلك تداخلا فى الأصوات وتفاوتا فى الإيقاع ،مما أدى إلى إلقاء المعنى فى القلب والأذهان واضحا جليا .

وفى قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُور ﴾ ختام بديع للآية الكريمة وهو ما يعرف فى البديع بتشابه الأطراف ، فهذا الذى يدخل فى الأرض ويخرج منها ، والذى ينزل من السماء ويصعد فيها إنما ذلك كله من أجل الإنسان ورحمة به . . وهو ـ سبحانه ـ على ما يصدر من خلقه من تقصير فى شكره وطاعته رحيم غفور، فلا يعجل لهم العقوبة بل يمهلهم للتوبة والإنابة .

* * *

سورة فاطر :

مما لا شك فيه أن « الألفاظ لا تتفاضل من حيث هى ألفاظ مجردة ، ولا من حيث هى كلم مفردة ، وأن الألفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافها فى ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التى تليها »[1] . وقد جاء الجناس فى هذه السورة المكية فى عدة مواضع أبرز من خلالها بمجاورة الألفاظ والصور مشاهد حية تجسد المعنى فى وضوح وجلاء .

يقول تعالى : ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِير ﴾ [فاطر : ٦] .

جاء الجناس فى هذا المشهد الحربى بين : (عدو ـ يدعو) والجرس الموسيقى للجناس يثير الذهن إلى ترابط معنوى بين الكلمتين ، وهى حقيقة هذه الدعوة

(١) عبد القاهر الجرجانى ـ دلائل الإعجاز ـ تعليق : محمد رشيد رضا ـ القاهرة ـ مطبعة محمد على صبيح ـ ط٦ ـ ١٩٦٠م ، ص٤٦ .

القائمة على العداوة ، واللفظ يحمل فى طياته الخير ﴿ يَدْعُو﴾ ، وهذه صفة الشيطان الذى يزين الشرّ فى صورة الخير ، فإذا جاء المدعوون وجدوا أنفسهم ﴿مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ .

يقول تعالى : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [فاطر : ١٢] .

فجاء الجناس بين : (مِلْح ـ لحما) ، وهذا التجانس الحرفى يثير الذهن إلى مظاهر قدرة الله تعالى فى البحار وتسخيرها للإنسان . .

وقد جمع المشهد كل مظاهر الحياة للإنسان من : مشرب . . ومأكل . . وملبس . . وسفر ، وجاء هذا المشهد فى سياق الجمع ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ ﴾ ، والتفريق : ﴿ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاج ﴾ وفيه إثارة ذهنية وحسن التفات إلى قدرة الله تعالى والحث على شكره ، وقد زادت هذه الإثارة الذهنية بالختام البديع للآية ﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ وهو ما يُعرف فى البلاغة بتشابه الأطراف .

وقد احتوى المشهد على مزيج من الصوت الذى نسمعه فى ﴿ الْبَحْرَانِ ﴾ وفى صوت الفلك ﴿ مَوَاخِرَ ﴾ واللون فى البحار والأسماك ، والحركة فى مياه البحار واستخراج الحلية ولبسها وحركة الفلك المتجسدة بصريا ﴿وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ﴾ ، هذا بالإضافة إلى مخاطبة حاسة الطعم فى الإنسان ﴿ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا ﴾ .

ومن مواضع الجناس فى مشاهد قدرة الله تعالى ، قوله جل شأنه : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ . وَلا الظُّلُمَاتُ وَلا النُّورُ . وَلا الظِّلُّ وَلا الْحَرُورُ ﴾

[فاطر : ١٩ ـ ٢١]

فجانس بين : (الظلمات ـ الظل) وهو جناس ناقص يوحى بنقض هذه التسوية التى جاءت منفية ﴿ وَمَا يَسْتَوِي.. ﴾ فأدى ذلك إلى إبراز المعنى فى قوة وجلاء ، متضامنا فى ذلك مع الطباق بين : (الأعمى والبصير ، والظلمات والنور ، والظل والحرور) وتكرار الطباق فى سياق تكرار النفى أحدث إيقاعا موسيقيا قويا ساعد على حسن الإصغاء وتلقى المعنى بقلب حاضر ، وهو تمثيل لحال المؤمنين والكافرين .

ومن مواضع الجناس فى هذه السورة الكريمة ، قوله تعالى : ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ . ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾ [فاطر : ٢٥ ، ٢٦] .

فجانس بين : (المنير ـ نكير) جناسا لاحقا لتباعد مخرج الميم والكاف وذلك فى سياق توافق الفواصل وقد أتى هذا الجناس فى مقام التسرية عن النبى ﷺ وتسليته بذكر ما حدث للأنبياء والمرسلين فيتصبر ويستبشر بنصر الله ، ﴿ ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ والتعبير بكلمة ﴿ أَخَذْتُ ﴾ بعد عطف التراخى ﴿ ثُم ﴾ يصور ضراوة الأخذ وشدته بعد ما اطمأن الكافرون لحالهم وإمهال الله لهم فترة من الزمان ، وقد زاد من تصوير هذا الأخذ التعقيب بالأسلوب الإنشائى المفيد للتهويل والوعيد : ﴿ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾ .

وفى تصوير حال أهل الجنة جاء الجناس فى قوله تعالى : ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ . وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [فاطر : ٣٣ ، ٣٤] .

فجانس بين : (ذهب ـ أذهب) : وقد جمع هذا الجناس بين اللون فى الذهب ، وبين الحركة والتجسيم فى ﴿ أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ ﴾ ، وقد جاء الجناس فى سياق الالتفات من صيغة المضارع : ﴿ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ ﴾ إلى صيغة الاسم : ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾ ولم يقل : (ويلبسون فيها حرير) على غرار ﴿ يُحَلَّوْنَ فِيهَا

منْ أَسَاوِر .. ﴾ إلى صيغة الماضى المفيد للتوكيد والتحقيق : ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ وهذا التنويع الأسلوبى يثير الذهن ويقع فى النفس موقعا لطيفا يؤدى إلى تصور المشهد بأركانه والتجاوب الوجدانى معه .

* * *

سورة يس :

إن الكلمة تكون « صدى صادقا لما تحكى من صوت ، أو تؤدى من معنى ولون ، والنعوت تزيد فى التحديد أو الروعة ليكون الوصف كاشفا حاكيا ما وراءه، يسمعه الإنسان فكأنما يشهد الطبيعة فى ائتلافها ، والصور فى ائتلافها »[1] وقد جاء الجناس فى هذه السورة فى عدة مواضع متضافرا مع الأساليب الأخرى لإبراز المعنى فى حسن بيان ، ومن هذه المواضع قوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴾

[يس : ١٢]

فجانس بين : ﴿ نَحْنُ نُحْيِي ﴾ جناسا ناقصا مكررا لمجىء اللفظين متتاليين ، وهو يعمل على إيقاظ القلب وإثارة الذهن بهذا الإيقاع الصوتى للجناس ، والتوكيد فى بداية الآية بـ ﴿ إِنَّا ﴾ وقد زاد المعنى قوة بالطباق بين : (نحيى - الموتى) .

وفى الآية إيقاع صوتى آخر ، قد نشأ من حسن التقسيم : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ ﴾ - ﴿ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ ﴾ - ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴾ .

وفى قوله تعالى : ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴾ بعد قوله تعالى : ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ ﴾ ذكر العام بعد الخاص .. فالله يكتب أعمال العباد ، ويحصى كل شيئا فى كتاب ينطق بالحق .

---

(١) أحمد الشايب - الأسلوب - القاهرة - مكتبة النهضة المصرية - ط٨ - ١٩٨٨م ، ص١٠٥ بتصرف يسير .

ومـن مواضع الجناس فى مشاهد القدرة فى السورة الكريمة ، قولـه تعالى : ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ. وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ . لا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ. وَآيَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴾ [يس:٣٨ ـ ٤١].

فقد جاء الجناس بين:(تقدير ـ القديم) وبين:(فَلَك ـ الفُلك) ، وذلك فى مشهد بديع من مشاهد الطبيعة التى تزخر بالحركة واللون والضياء والألوان البلاغية المختلفة ، فهذا أسلوب لطيف المأخذ فى قوله : ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ﴾ تجرى [1] حتى تسجد تحت العرش . . وقد روى البخارى عن أبى ذر ﷺ ،قال : دخلت المسجد ورسول الله ﷺ جالس ، فلما غربت الشمس قال : « يا أبا ذر هل تدرى أين تذهب هذه ؟ » قال : قلتُ : الله ورسوله أعلم . قال : « فإنها تذهب تستأذن فى السجود فيؤذن لها وكأنها قد قيل لها ارجعى من حيث جئت ، فتطلع من مغربها » ثم قرأ ـ ذلك مستقر لها [2].

وفى قوله تعالى : ﴿ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴾ تشبيه محسوس بديع يقف بالمتأمل أمام جلال صنعة الخالق ، فالقمر يتناقص شيئـا فشيئا، حتى يصير ﴿ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴾ وهو « العنقود من الرطب إذا عتق ويبس وانحنى » [3].

إنه مشهد عجيب يلقى بضيائه الفضى المتناقص ، ويلقى بجفافه ويبسه ، فيقع هذا المشهد بظلاله فى النفس موقعا رقيقا ، وبخاصة « ظل ذلك اللفظ ﴿الْقَدِيمِ﴾ . فالقمر فى لياليه الأولى هلال . وفى لياليه الأخيرة هلال . ولكنه فـى

(١) إنما هى تجرى . تجرى فعلا . تجرى في اتجاه واحد فى الفضاء الكونى الهائل بسرعة حسبها الفلكيون باثنى عشر ميلا فى الثانية . انظر : فى ظلال القرآن ، جـ٥ ، ص٢٩٦٨ .

(٢) محمد فؤاد عبد الباقى ـ اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ـ القاهرة ـ دار الحديث ـ ط٣ ـ ١٩٩٧م جـ١ ، ص٣٨ .

(٣) مختصر ابن كثير ، جـ٣ ، ص١٦٣ .

الأولى يبدو وكأنه فيه نضارة وفتوة . وفى الأخيرة يطلع وكأنما يغشاه سهوم ووجوم ، ويكسوه شحوب وذبول . ذبول العرجون القديم ! فليست مصادفة أن يعبر القرآن الكريم عنه هذا التعبير الموحى العجيب » [١] .

ثم نقف أمام حركة أخرى دائبة لأربعة كائنات تَسبح فى ملك الله تعالى إنها الشمس التى تجرى فى مسارها ، والقمر الذى يتحرك فى فلكه ، فلا يتقابلان ولا يجتمعان ، وكذا ـ أيضا ـ حركة الليل والنهار .. وجاء التعبير بكلمة ﴿ تُدْرِكَ﴾ فى حق الشمس ﴿ لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ ﴾ لتباطؤ سيرها (فى سنة) عن سير القمر (فى شهر)[٢].

ثم يهبط بنا المشهد إلى الأرض وما فيها من بحار ، لنقف أمام حركة السفن وما فيها من آية وعبرة .

وقد ربط الإيقاع الصوتى للجناس فى (فَلَك ـ الفُلْك) بين خطوط المشهد فى الفضاء والبحر ، فدارت النفس مع جمال الإبداع فى سباحة الفلك والفلك..

وفى التعبير بقوله تعالى: ﴿ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ دون (يَسْبَح)، «تنزيل غير العاقل منزلة العاقل ، فقد عبر عن الشمس والقمر والكواكب بضمير جمع المذكَر ، والذى سوّغ ذلك ، وصفهم بالسباحة لأنها من صفات العقلاء » [٣].

ومن مواضعَ الجناس فى هذه السورة الكريمة قوله تعالى : ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ . قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴾ [يس : ٥١ ، ٥٢] .

فوقع الجناس بين : (ينسلون ـ المرسلون) ، وقد تضامن الإيقاع الصوتى فى السياق فى إبراز ذلك المشهد فى صورة حية ، فيخرج أهل العذاب فى حركة

---

(١) الظلال ، جـ٥ ، ص٢٩٦٨ .

(٢) الكشاف ، جـ٤ ، ص١٨ .

(٣) صفوة التفاسير ، جـ٣ ، ص٢٠ .

سريعة ﴿ يَنسِلُون ﴾ وهم يتصايحون فى ذعر : ﴿ يَا وَيْلَنَا .. ﴾ .

وتعلو نغمة الإيقاع الصوتي بتحقق عنصر المفاجأة ، والسرعة الخاطفة فى قوله تعالى : ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّور ﴾ بحذف الفاعل ، وإثارة الذهن إلى شدة صوت النفخ وهوله ، ثم التعبير بـ (إذا) الفجائية المسبوقة بفاء التعقيب والسرعة .

والتعبير بصيغة : ﴿ الرَّحْمَنُ ﴾ توحى بمدى حسرتهم على ما فاتهم من رحمة الله فى هذا اليوم العصيب، نظير إعراضهم عنه فى الدنيا، أو أن الأمل يراودهم فى تنزيل الرحمة عليهم !!

ومن مواضع الجناس فى السورة ، قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ . وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴾

[يس : ٧١ ، ٧٢]

جاء الجناس بين : (مالكون ـ يأكلون) ، وقد جمع بين نعمتى الملك والأكل للأنعام ، وهذا المشهد من مشاهد نعمة الله على الإنسان ، يحث على الشكر والإيمان ، وقد وجه السياق النظر إلى ذلك بالاستفهام التعجبى ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم ... ﴾ .

وإمعانا فى إظهار نعمة الله وقدرته ، قدم شبه الجملة ﴿لَهُم﴾ على ﴿أَنْعَامًا﴾ وقدمه على ﴿ مَالِكُون ﴾ ، وفى تكراره ثلاث مرات إفادة للتخصيص وإثارة للانتباه..

وفى قوله تعالى : ﴿ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴾ بعد قوله : ﴿ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ ﴾ تفصيل بعد إجمال ، وذلك فى حسن تقسيم أحدث إيقاعا موسيقيا لطيفا .

* * *

سورة غافر :

إن « الإعجاز القرآنى حقيقة الحقائق ، ولب لبابها ، قد أودعه الله سبحانه وتعالى فى كلمات نظمت نظم الدر المكنون ، فكانت قلائد من البيان الربانى العربى » [(١)] .

وقد حمل السياق القرآنى الجناس حملا رقيقا ، فكان غرة فى جبينه ، ودرة فى عقد منظوم . . يقول تعالى :

﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ . إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلاَّ كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [غافر : ٥٥ ، ٥٦] .

فوقع الجناس بين : (الإبكار ـ كبر) وهو جناس غير تام ، أدى بصوته الإيقاعى إلى إثارة الذهن ولفت الانتباه إلى المعنى المراد . . فهذا التسبيح ينبغى أن يداوم عليه الإنسان فى المساء والصباح ، وقد جاء شق الجناس الأول ﴿ الإِبْكَارِ ﴾ فى سياق ثلاثةأساليب إنشائية : (فاصبر ـ واستغفر ـ وسبح) ليشير إلى أن الاستغفار والتسبيح بالعشى والإبكار من أدوات الاستعانة على الصبر . .

وجاء الأسلوب الخبرى ﴿ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَق ﴾ بمثابة إجابة على سؤال سائل عند الأمر بـ ﴿ فَاصْبِر ﴾ لماذا الصبر ؟ فجاء الجواب حاملا فى طياته التثبيت والتبشير .

وجاء الشق الثانى من الجناس ﴿ كِبْر ﴾ فى سياق التوكيد بـ ﴿ إِنَّ ﴾ واسم الموصول ﴿ الَّذِين ﴾ الدال على التحقير . . وقد جاءت الكلمات فى نسيج متصل يؤدى بعضه إلى بعض ، فهذا الكبر قد أدى إليه الجدل ﴿ يُجَادِلُون ﴾ ، وهذا الكبر خُلق مذموم يختفى فى النفس وطياتها ، فكان التعبير بما يناسب ذلك وهو الصدور فى قوله تعالى : ﴿ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلاَّ كِبْر ﴾ وهو أسلوب مؤكد عن

(١) إعجاز القرآن ـ عبد الكريم الخطيب ، جـ١ ، ص١٤ .

طريق النفى بـ ﴿ إن ﴾ التى بمعنى (ما) ، والاستثناء .

والتعبير بـ : ﴿ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ ﴾ فيه إيقاع خاطف أدى إلى إثارة ذهنية ، فهى جملة قليلة الألفاظ ، شديدة الوقع ، تقطع عليهم خيوط الأمل فى الوصول إلى مرادهم ، وقد زاد من هذا البيان النفى بـ ﴿ مَّا ﴾ فى سياق التوكيد بحرف الباء الزائد فى : ﴿ بِبَالِغِيهِ ﴾ .

ومن مواضع الجناس فى السورة الكريمة قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُون . إِذِ الأَغْلالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلاسِلُ يُسْحَبُونَ . فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُون ﴾ [غافر : ٧٠ ـ ٧٢] .

فوقع الجناس بين : (يُسحَبُون ـ يُسْجَرُون) ، فهذا الإيقاع الصوتى بين الكلمتين يرسم صورة حركية عنيفة لهذا السحب عن طريق الأغلال والسلاسل ثم الرمى بهم ﴿ فِي الْحَمِيم ﴾ وهو الماء المغلى ـ عياذا بالله ـ ثم تصويرهم وهم ﴿يُسْجَرُون﴾ أى : توقد بهم النار [١] .

وقد جاء الجناس فى سياق بلاغى بديع ساعد على إظهار صورة هولاء الكافرين فى ذلة ومهانة ، فيبدأ المشهد بتسليط الضوء ولفت الانتباه أولا إلى تلك الأغلال المربوطة فى رقابهم مع أيديهم ، ثم إلى تلك السلاسل التى يسحبون بها (على وجوههم تارة إلى الحميم ، وتارة إلى الجحيم) [٢].

وفى قوله تعالى : ﴿ إِذِ الأَغْلالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلاسِلُ يُسْحَبُونَ . فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُون ﴾ بعد قوله سبحانه : ﴿ فَسَوْفَ يَعْلَمُون ﴾ تفصيل بعد إجمال أدى إلى رسم صورة بالغة من التهديد والوعيد .

ومن مواضع الجناس فى السورة الكريمة ، قوله تعالى : ﴿ذَلِكُم بِمَا كُنتُمْ

---

(١) محمد فؤاد عبد الباقى ـ معجم غريب القرآن ـ القاهرة ـ دار إحياء الكتب العربية ـ بدون تاريخ ـ ص٨٥ .
(٢) مختصر ابن كثير ، جـ٣ ، ص٢٥١ .

تَفْرَحُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴾ [غافر: ٧٥].

فجانس بين : (تفرحون ـ تمرحون) فالعلاقة الصوتية بين الفرح الذى كان بغير الحق ، قد أدى بهم إلى المرح ، وقد جاء ذلك فى سياق الحذف لأجل بيان حقارتهم وإهانتهم . . أى : « يقال لهم أيضا : ﴿ ذَلِكُم ﴾ العذاب ﴿ بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ من الإشراك وإنكار البعث ﴿ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴾ ـ أى بسبب ما كنتم ـ تتوسعون فى الفرح » [1] .

* * *

سورة فصلت :

جاء الجناس فى هذه السورة الكريمة فى قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ . وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ [فصلت: ٣٣ ، ٣٤].

هذا الجناس فى هذا المشهد بين : (دعا ـ عداوة) والكلمة الأولى جاءت فى سياق الأسلوب الإنشائى الاستفهامى الدال على النفى والتعجب ، أى : لا أحد أحسن ممن قام بالدعوة إلى الله وعمل صالحا واعتقد عقيدة الإسلام . . وهذا الترتيب بديع التأليف والتنسيق ، فالإنسان يجب أن « يكون موحدا معتقدا لدين الإسلام ، عاملا بالخير ، داعيا إليه » [2]. وفى هذا الترتيب القرآنى إثارة للذهن وحث على أمر النهوض بالدعوة ، فهى أسمى الأعمال الإسلامية التى ينبغى للمسلم أن يضعها فى المقام الأول ، نُصب عينيه ، كل حسب طاقته وقدرته.

وجاء الشق الثانى من الجناس ﴿ عَدَاوَةٌ ﴾ فى سياق الحث على الحلم والسلوك الحسن والخلق القويم ، والمشهد كله قام على التمسك بالأفضل وتحرى

---

(١) جلال الدين أحمد المحلى وجلال الدين السيوطى ـ تفسير الجلالين ـ مراجعة : الأستاذ / مروان سوار ـ بيروت ـ دار المعرفة ـ بدون تاريخ ـ ص٦٢٨ .

(٢) الكشاف ، جـ٤ ، ص١٩٩ .

الأحسن : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا ﴾ ، ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ . .

والإيقاع الصوتى بين كلمتى الجناس يوحى بالإيقاع الحركى بين الناس ، فمن قام بالدعوة ﴿دَعَا﴾ تعرض للعداوة من المبغضين للحق والكارهين له ، وذلك سبيل الدعاة الأوائل من الأنبياء والمرسلين ،وقد جاء المشهد مجسما لميزان المعاملة، ومبينا عدم التساوى بين كفتى الحسنات والسيئات ، ثم ينتقل المشهد فى حركة مجسمة سريعة تظهر من خلال هذا الدفع ﴿ ادْفَعْ ﴾ فيندفع المرء نحو الأحسن، فتنقلب العداوة إلى ضدها ﴿ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ وذلك فى سرعة خاطفة فجائية كما فى التعبير بـ (إذا) .

وفى موضع آخر أتى الجناس فى سياق مشهد منفر ، حيث رسم صورة مذمومة للإنسان المعُرض عن الله تعالى ، يقول عز وجل : ﴿ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ﴾ [فصلت : ٥١] .

فالجناس هنا بين : (أعرض ـ عريض) ، فهو يُعرض عن الله عند النعمة ، وعند النقمة نراه صاحب دعاء عريض ، أى : كثير . . وقد رسم المشهد هذه الحركة الحسية المنقلبة من الإعراض إلى الدعاء العريض ، فقوله تعالى : ﴿ نَأَىٰ بِجَانِبِهِ ﴾ أى : « ثنى عطفه متبخترا ، و﴿ نَأَىٰ ﴾ : قرأ ابن ذكوان ، وأبو جعفر بألف ممدودة بعد النون وبعدها همزة مفتوحة مثل : « شاء » من « ناء » بمعنى نهض . وقرأ الباقون بهمزة مفتوحة ممدودة بعد النون مثل : « رأى » من النأى بمعنى البعد ، وقد أشارت هذه الآية إلى بعض الغرائز والصفات الكامنة فى الإنسان »[1] .

* * *

---

(١) د. محمد سالم محيسن ـ المستنير فى تخريج القراءات المتواترة ـ بيروت ـ دار الجيل ـ ط١ ـ ١٩٨٩م ـ جـ٣ ، ص٤٨.

سورة الزخرف :

قال تعالى : ﴿ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الإِنسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ . أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُم بِالْبَنِينَ ﴾ [الزخرف : ١٥ ، ١٦] .

فجانس بين : (مبين - بالبنين) ، وجاءت الكلمة الأولى : ﴿ مُّبِين ﴾ فى سياق جملتين خبريتين ، الأولى تحمل التبكيت لهؤلاء المشركين وتبين سخفهم العقلى عن طريق كلمة ﴿ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ . إذ كيف يجعلون لله ولدا وبنات وهم عباده ؟! وإذا سأل سائل : لماذا ﴿ جَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا ﴾ ؟! كان الجواب البليغ: ﴿ إِنَّ الإِنسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴾ وهو مؤكد بإن واللام ، ثم كان استفهام التوبيخ والتعجب والاستنكار :﴿ أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُم بِالْبَنِينَ ﴾ ، وزيادة فى تسفيه عقولهم وتقريعهم عبر بقوله تعالى : ﴿ أَصْفَاكُم ﴾ .

ومن مواضع الجناس فى السورة الكريمة ، قوله تعالى : ﴿ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُون . وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُون ﴾

[الزخرف : ٢٢ ، ٢٣]

فجانس بين : (مهتدون - مقتدون) و « معنى الاهتداء والاقتداء متقارب ، وخصص المترفين الأغنياء والرؤساء تنبيها على أن التنعم هو سبب إهمال النظر»[1]. وقد رسم هذا المشهد صورة التقليد الأعمى وما يؤدى إليه ، فتظهر «طبيعة المعرضين عن الهدى واحدة ، وحجتهم كذلك مكرورة: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُون ﴾ أو ﴿ مُّقْتَدُون ﴾ .. ثم تغلق قلوبهم على هذه المحاكاة ، وتطمس عقولهم دون التدبر لأى جديد »[2] .

* * *

(١) الشوكانى - فتح القدير - تحقيق : الدكتور عبد الرحمن عميرة - المنصورة - دار الوفاء - ط٢ - ١٩٩٧م - جـ٤ ، ص٧٢١.

(٢) الظلال ، جـ٥ ، ص٣١٨٢ .

سورة الفتح :

قال تعالى : ﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الفتح : ٢٩] .

فجانس بين : (فاستغلظ ـ ليغيظ) ، وقد جاء هذا الجناس فى تصوير رائق وأسلوب بديع ، حيث ضرب الله لنا مثلا لأصحاب النبى ﷺ : « أنهم يكونون فى الابتداء قليلا ، ثم يزدادون ويكثرون ويقوون كالزرع ، فإنه يكون فى الابتداء ضعيفا ، ثم يقوى حالا بعد حال حتى يغلظ ساقه ، ثم ذكر سبحانه علة تكثيره لأصحاب نبيه ﷺ وتقويته لهم فقال : ﴿ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ﴾ أى : كثرهم وقواهم ليكونوا غيظا للكافرين »[1] .

* * *

سورة الحجرات :

جاء الإيقاع الصوتى للجناس فى هذه السورة من خلال مشهد سلوكى لتقويم الأخلاق وتهذيب المعاملات ، يقول تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحجرات: ١١ ، ١٢].

---

(١) فتح القدير ، جـ٥ ، ص٧٥ .

فوقع الجناس بين : (يتب ـ يغتب) وقد جاء هذا الجناس فى سياق متباين من أساليب النداء والنهى والأمر والخبر ، أساليب متآزرة مترابطة تأخذ بلب القارئ فى سمت كريم إلى أدب رفيع . .

وهذا الإيقاع الصوتى بين التوبة والغيبة يعمل على شحذ الذهن وإثارة القلب لوجوب التوبة من هذا الداء الدفين وهو (الغيبة) .

* * *

سورة ق :

جاء الجناس فى هذه السورة الكريمة ليبرز المعنى جليا فى ضوء الحوار الذى يدور فى ساحة القيامة بين الكافر والملك والشيطان . . . يقول تعالى : ﴿ وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيد . أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيد . مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيب. الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيد . قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِن كَانَ فِي ضَلالٍ بَعِيد . قَالَ لا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيد﴾ [ق : ٢٣ ـ ٢٨] .

فجاء الجناس بين : (عتيد ـ عنيد) وبين : (بعيد ـ بالوعيد) ، فرسم بهذا الإيقاع المديد شخصية المشهد وجوانبه المتناسقة ، إنه مشهد أظهر الندم مجسدا على وجوه أصحابه ، فبدا الموقف طويلا ممدودا ، وقد ساعد حرف المد (الياء) على إبراز ذلك متضامنا مع حرف (العين) وهو حرف مجهور قوى يخرج من وسط الحلق ، فرسم صورة إيقاعية قوية تقرع القلوب .

وقوله تعالى : ﴿ أَلْقِيَا ﴾ « خطاب من الله تعالى للملكين: السائق والشهيد، ويجوز أن يكون خطابا للواحد على وجهين : أحدهما قول المبرد : أن تثنية الفاعل نزلت منزلة تثنية الفعل لاتحادهما ، كأنه قيل : ألق . ألق ، للتأكيد . والثانى: أن العرب أكثر ما يرافق الرجل منهم اثنان، فكثر على ألسنتهم أن يقولوا: خليلىّ وصاحبىّ ، وقفا وأسعدا ، حتى خاطبوا الواحد خطاب الاثنين»[1].

---

(١) الكشاف ، جـ٤ ، ص٣٨٧ .

وقد جاء الجناس فى موضع آخر فى هذه السورة الكريمة ، وذلك فى قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ . فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴾

[ق : ٣٨ ، ٣٩]

فجانس بين: (لغوب ـ الغروب) واللغوب : التعب والإعياء [١] ، وهذا الإيقاع الصوتى فيه إثارة للذهن ، وقد زاد من أثر هذه الإثارة ، تكرار الحرف المهموس (السين) فى خمس كلمات مما أدى إلى تحريك أوتار القلوب والأخذ بلب القارئ والسامع . .

والشق الأول من الجناس ﴿ لُغُوب ﴾ قد جاء فى سياق الخبر ، وذلك أبلغ فى النفس وأوقع فى نفى زعم اليهود أن الله تعالى بعد الانتهاء من خلق السموات والأرض فى يوم الجمعة ، تعب فاستراح يوم السبت (تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا) وفى التعبير بلفظ المس المنفى ﴿ وَمَا مَسَّنَا ﴾، و﴿ مِن ﴾ الدالة على التبعيض، إيجاز جامع لمعانى البلاغة ، مانع لكل شك أو توهم لمثل هذه الافتراءات .

وجاء الشق الثانى من الجناس ﴿ الْغُرُوب ﴾ فى سياق بلاغى بديع ، بين أسلوب الأمر النصحى (فاصبر ـ وسبح) ، والطباق : (طلوع الشمس ـ الغروب) . . وفى ذلك إشارة إلى أن التسبيح بحمد الله ـ تعالى ـ يعين على الصبر ، فيتكاتف الاثنان فى مواجهة العداء ومشاق الحياة .

* * *

سورة الذاريات :

قال تعالى : ﴿ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴾ [الذاريات: ٤٠].

فجانس بين (اليم ـ مليم) وهو جناس إيقاعى يصور حركة عنيفة غاضبة، وهى

(١) لسان اللسان ـ مادة (لغب) .

حركة الأخذ والنبذ ـ الإلقاء بشدة ـ فى البحر . .وإمعانا فى تصوير شدة العقاب والعذاب، جاء الحديث من أخذ فرعون وحده ﴿ فَأَخَذْنَاه ﴾ ثم قال: ﴿ وَجُنُودَه ﴾، وفى هذا أسلوب بلاغى بديع ، يصور الإهانة والذلة التى لحقت بزعيمهم الزاعم أنه إله ، ويصور نصيبه الأكبر من العذاب بصفته قائدهم إلى الضلال .

وفى تلاحق الفعلين (فأخذناه ـ فنبذناهم) إيقاع رعيب ، يأخذ بالنفس فى مشهد من الرهبة والخوف . . وإذا كان هذا التصوير قد صور التنكيل الجسدى الحسى ، فقد صور المشهد ـ أيضا ـ العذاب المعنوى لفرعون عن الجملة الحالية : ﴿ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ أى يلام على ذنبه . .فإن «قلت:كيف وصف نبى الله يونس صلوات الله عليه بما وصف به فرعون فى قوله تعالى :﴿ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴾؟ قلت: موجبات اللوم تختلف وعلى حسب اختلافها تختلف مقادير اللوم »[1] .

* * *

سورة الطور :

جاء الجناس فى الموضع الأول من هذه السورة فى سياق القسم ، فكان له وقع إيقاعى بديع عمل على حسن الإصغاء للمقسم عليه،يقول تعالى:﴿ وَالطُّورِ . وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ ﴾ [الطور : ١ ، ٢] .

فجانس بين : (الطور ـ مسطور) وقد أقسم المولى عز وجل بجبل الطور حيث كلم الحق ـ سبحانه ـ موسى عليه السلام ، وأقسم بالكتاب المسطور ، وهو القرآن الكريم .

ومن بلاغة التفنن الأسلوبى ، أن جاء ﴿ الطُّورِ ﴾ معرفا بأل للإشارة إلى معهود ذهنى وللتفخيم من شأنه ، بينما جاء ﴿ كِتَابٍ ﴾ نكرة للتعظيم والتفخيم .

---

(١) الكشاف ، جـ٤ ، ص٤٠٣ .

وجاء الجناس فى الموضع الآخر من هذه السورة ، فى قوله تعالى : ﴿ فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ . أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ ﴾
[الطور : ٢٩ ، ٣٠]

فجانس بين : (ولا مجنون - المنون) : و ﴿ رَيْبَ الْمَنُونِ ﴾ أى : مصائب الدهر ، فهم يقولون : إنهم يترقبون تلك الحوادث أملا فى موته ﷺ .

وفى قوله تعالى : ﴿ فَمَا أَنت ﴾ ولم يقل مثلا : (فَلَسْتَ) من التفخيم وإعلاء القدر ما لا يدرك كنهه ، وفى التعبير بـ : ﴿ بِنِعْمَت ﴾ إشعار بالإكرام وإنعام الله عليه ، فى سياق إيقاعى بديع ناشئ من تكرار حرف (الباء) فى ثلاث كلمات متتالية : ﴿ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ ﴾ . ولأن الله - تعالى - قد ربّى عبده ونبيه تربية عظيمة ، فقد جاء التعبير بكلمة ﴿ رَبِّك ﴾ ، ولم يقل مثلا : (فما أنت بنعمة الله) . . وهذه التربية الرفيعة تنفى أدنى شبهات الكهانة أو الجنون ، ولذلك جاء الضمير ﴿ أَنت ﴾ منفصلا ومنفيا فى سياق التوكيد بحرف الجر الزائد (الباء) فى ﴿ بِكَاهِنٍ ﴾ وتكرار النفى مرة أخرى ﴿ وَلَا مَجْنُونٍ ﴾ . . إنه إيقاظ للقلوب ولفت للعقول : كيف تكون نعمة الله كهانة أو جنون ؟!

وجاء الشق الثانى من الجناس ﴿ الْمَنُونِ ﴾ فى سياق الاستفهام التوبيخى الإنكارى ، ﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِر .. ﴾ ، إنه تتمة الجملة الموسيقية البديعة التى لا تزال تحرك العقول وتهز القلوب ، فى سياق التصوير الحسى لحركة التربص من هؤلاء المعاندين ، وكأنهم يتحركون هنا وهناك بحثا وترقبا عن مصيبة تنزل بهذا الذى يزعمون أنه ﴿ شَاعِرٍ ﴾ ، فيهلك كما هلك غيره .

* * *

سورة النجم :

قال تعالى: ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ . مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴾ [النجم: ١، ٢] .

فوقع الجناس بين : (هوى - غوى) وذلك فى سياق القسم بالنجم ،

والنفى بـ ﴿ مَا ﴾ . . قال ابن كثير : الخالق يُقسم بما شاء من خلقه ، والمخلوق لا ينبغى أن يقسم إلا بالخالق [١] .

والتعريف فى ﴿ النَّجْم ﴾ للجنس ، والمراد به جنس النجوم ، وبه قال جماعة من المفسرين ، ومنه قول عمر بن أبى ربيعة :

أحسن النجم فى السماء الثريا والثريا فى الأرض زين النساء

وقال الحسن : المراد بالنجم : النجوم إذا سقطت يوم القيامة ، وقيل : المراد بها : النجوم التى ترجم بها الشياطين [٢] .

وجاء النفى مكررا للتوكيد وإزالة الشك والشبهة عن النبى ﷺ ، فنفى الله عنه الضلالة ، ونفى عنه الغواية . . ومن بديع الأسلوب وبلاغته أن جاءت كلمة: ﴿ صَاحِبُكُم ﴾ متوسطة بينهما ، وفى هذا التعبير إيذان « بوقوفهم على تفاصيل أحواله ، فإن طول صحبتهم له ، ومشاهدتهم لمحاسن أوصافه العظيمة مقتضية ذلك »[٣] .

ومن مواضع الجناس ـ أيضا ـ قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ﴾ [النجم:٤٨].

فجانس بين (أغنى ـ أقنى) أى : أغنى وأفقر فى سياق التوكيد بـ (أن) وضمير الفعل (هو) .

* * *

سورة القمر :

جاء الجناس فى مطلع هذه السورة المكية فى سياق تبكيت الكافرين وذمهم على إعراضهم عن الحق على الرغم من وضوحه ونصوعه، يقول تعالى: ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ . وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِر . وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير ، جـ٣ ، ص٣٩٦ .
(٢) فتح القدير ، جـ٥ ، ص١٣٨ .
(٣) صفوة التفاسير ، جـ٣ ، ص٢٧٢ .

وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ . وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّنَ الأَنبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَر . حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ . فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ﴾ [القمر : ١ ـ ٦] .

فجاء الجناس بين : (مستمر ـ مستقر) وبين : (النُّذُر ـ نُكُر) ، وهذا الإيقاع العنيف الذى جاء فى سرعة متقاربة ، قد رسم هذا المشهد بشخوصه وأحداثه . . فرسم صورة هؤلاء المعرضين عند رؤيتهم لمعجزة انشقاق القمر ، فهم ينظرون إليها بأعينهم ، ثم ﴿ يُعْرِضُوا ﴾ ، وفى حال إعراضهم تتعالى أصواتهم بقولهم : ﴿ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌ ﴾ . .

والتكذيب يؤدى إلى الضلال ، ولهذا قال سبحانه : ﴿وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُم﴾ ، وهذا شىء منكر شديد الإنكار ؛ لأنه قد : ﴿ جَاءَهُم مِّنَ الأَنبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴾ وعندئذ خاطب المولى عز وجل نبيه ﷺ : ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُم ﴾ .

ومن بلاغة الأسلوب القرآنى الحكيم أنه قابل الحذف فى مقام حكاية قول الكافرين : ﴿ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌ ﴾ أى : يقولون : هذا سحر ، بقوله تعالى عن القرآن الكريم : ﴿ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ ﴾ أى : هذا القرآن حكمة بالغة .

* * *

سورة الواقعة :

جاء الجناس فى أربعة مواضع فى هذه السورة المكية الكريمة ، وكان الموضع الأول فى مشهد نعيم أهل الجنة ، فى قوله تعالى :

﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ . فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ . وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴾

[الواقعة : ٢٨ ، ٢٩]

فجاء الجناس بين : (مخضود ـ منضود) والخَضْد : القطع ، وخَضَدت الشجر : قطعت شوكه فهو خضيد ومخضود ، والخَضْد : نزع الشوك عن الشجر . . والمنضود : من نَضَدْتُ المتاع أنْضِدُه بالكسر ، نَضْدًا ونَضَّدْتُه : جعلت

بعضَه على بعض . . وطَلْعٌ نضيدٌ : قد ركب بعضُه بعضا [١] .

والجناس هنا له إيقاع شجى تطرب له الآذان، ويشتاق لساحته الجنان، فهذا شجر النبق قد قُطع شوكه ، وهذا شجر الموز قد تراكم بعضه فوق بعض من فرط نضجه وكثرته . . إنها الصورة السمعية التى تتكاتف مع الصور البصرية فى مشهد رائق فى سياق الاستفهام التعجبى التفخيمى : ﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴾ .

وجاء الجناس فى الموضع الثانى ، فى وصف عذاب أهل النار ، وذلك فى قوله تعالى : ﴿ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ . فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ . وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴾ [الواقعة : ٤١ ـ ٤٣] .

فجاء الجناس بين : (حميم ـ يحموم) يصف الله سبحانه حال أهل النار بأنهم فى سموم وحميم ، والريح إذا « كانت حارة فهى الحرور والسموم » [٢] . والحميم هو الماء المحمى ـ عافانا الله ـ ﴿ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴾ أى : ظل من دخان أسود [٣] .

فهذا الإيقاع الصوتى الشديد الناشئ من هذا الجناس ، قد خط خطوطا نارية لهذا المشهد ورسم له صورة مشتعلة أوحت بطبيعة عذاب هؤلاء الكافرين . . فقد امتلأت ساحة المشهد بالريح الحارة التى تحرق الأجساد ، والماء المغلى الذى يقطع الأمعاء ، والسحابة السوداء الكثيفة التى تغطى المكان ، وهذا فى ظل تموّج صوتى ناشئ من تغير حرف المد بين الواو والياء : ﴿سَمُومٍ وَحَمِيمٍ . وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴾ وذلك فى سياق الاستفهام التهويلى التعجبى : ﴿ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴾ .

وجاء الجناس فى الموضع الثالث من السورة الكريمة فى سياق ذكر نعم الله

---

(١) لسان العرب : مادة : خضد ـ نضد .

(٢) الثعالبى ـ فقه اللغة وسر العربية ـ تحقيق : املين نسيب ـ بيروت ـ دار الجيل ـ ط١ ـ ١٩٩٨م ـ ص٣٢٣ .

(٣) معجم غريب القرآن ـ ص٤٢ .

علـى الإنسان وذلك فـى قولـه تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ . أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ . لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ . إِنَّا لَمُغْرَمُونَ . بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴾ [الواقعة : ٦٣ ـ ٦٧] .

فجانس بين : (لمغرمون ـ محرومون) فأحدث إيقاعا أيقظ القلوب وأحيا النفوس فى سياق هذه اللوحة البصرية الزراعية التى يعيشها الإنسان فى كل يوم ، وفى التعبير بقوله : ﴿ حُطَامًا ﴾ إيقاع صوتى عنيف من جراء الهشيم المتكسر لهذا الزرع .

ويأتى هذا الإيقاع الصوتى فى سياق الحذف فى قوله تعالى : ﴿ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ. بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴾ أى : إنهم ليقولون : إنا لمغرمون . . . وذلك إذا شاء الله تعالى أن يجعل زرعهم حطاما ، فإنهم يقولون ذلك ، ومغرمون قد أصابهم الغرم، لضياع جهدهم وما أنفقوه فى سبيل هذا الزرع ، وإنهم فى النهاية ليصابون بالحرمان . . ولكن الله تعالى لطيف بالعباد فلولا آمنوا وشكروا ؟!

وجاء الجناس فى الموضع الأخير من السورة فى قوله تعالى :

﴿ فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ . فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ ﴾ [الواقعة: ٨٨ ، ٨٩].

فجانس بين : (فروح ـ ريحان) فتمتزج الراحة مع الرزق الهانئ . . ومن عجيب الأسلوب الحكيم أن يقع هذا الإيقاع الهادئ بصوته الشجى فى هذا المشهد الروحانى الريحانى ، والسورة الكريمة تقترب من النهاية ، كما جاء أيضا بإيقاعه النفيس فى مشهد أصحاب اليمين فى بدايات السورة . . فيجمع الجناس بين طرفى السورة . . مع أصحاب اليمين أولا ، ومع المقربين أخيرا !! قال القرطبى : والمراد بالمقربين : السابقون المذكورون فى أول السورة [1] .

* * *

(١) تفسير القرطبى ، جـ١٧ ، ص٢٣٢ .

سورة الجن :

قال تعالى : ﴿ وَأَنَّا لا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾ [الجن : ١٠]

فجانس بين : (ندرى ـ أريد) وبين : (أشر ـ رشدا) ومن عجيب هذا الإيقاع الصوتى ، أنه أتى فى سياق مقابلة الخلافة بين الشر والرشد ، « وهما خلافيان ، وضد الرشد (الغى) ، وضد الشر (الخير) ، والخير الذى يخرجه لفظ الرشد ضمنا نظير الشر قطعا حصل من هذا الشكل أربعة ألفاظ : نطقان وضمنان ، فكان بهما رباعيان »[1] . وفى هذا ـ أيضا ـ أسلوب رفيع بنسبة الخير إلى الله ، دون الشر أدبا مع الخالق[2].

وقد جاء الجناس فى موضع آخر فى هذه السورة ، وذلك فى قوله تعالى :

﴿ قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا . عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴾ [الجن : ٢٥ ، ٢٦] .

فجانس بين : (أمدا ـ أحدا) وفيه إيقاع صوتى شديد الوقع على النفس فهو يحمل التهديد والوعيد فى طياته ، فهذا العذاب الذى يقع بالكافرين لا يدرى أحد إذا كان قريبا أم بعيدا .

وقد ساعد على حدة هذا الإيقاع ، اشتمال الأسلوب على الطباق المعنوى المثير للذهن بين: (أقريب ـ أمدا) ، وتقديم ﴿ أَقَرِيب ﴾ على الفعل ﴿تُوعَدُون﴾ للاهتمام ولفت الانتباه . .

وفى قوله تعالى : ﴿ عَالِمُ الْغَيْب.. ﴾ بعد قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ أَدْرِي ﴾ حسن تعليل يأخذ باللب فى سياق تكرار : (الغيب ـ غيبه) الذى يفيد التوكيد وإثارة الذهن بالتضامن مع تنكير كلمة : ﴿ أَحَدًا ﴾ الذى يفيد العموم والشمول

(١) البرهان فى علوم القرآن ، جـ٣ ، ص٤٥٨ .

(٢) صفوة التفاسير ، جـ٣ ، ص٤٦٢ .

لمجيئه فى سياق النفى .

* * *

سورة القيامة :

هذه السورة من السور المكية التى تتحدث عن العقيدة والإيمان ، وقد جاء الجناس فى ثلاثة مواضع ، وكان الموضع الأول فى مشهد أخروى رائق فى قوله تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ . إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة : ٢٢ ، ٢٣] .

فجاء الجناس بين : (ناضرة ـ ناظرة) وذلك فى مشهد إيقاعى لطيف التناسق ناضر الوقع . . فرسم صورة بصرية حسية لهذه الوجوه والنضارة تعلوها وترسم عليها ـ جعلنا الله من أصحابها .

وتنكير ﴿ وُجُوهٌ ﴾ للتعظيم والتفضيل ؛ ولذلك جاز الابتداء به ، ولكى ينصرف الذهن إلى محور الاهتمام فى المشهد وهو النظر إلى الله تعالى ، جاء تقديم المفعول فى أسلوب رقيق يهز أوتار القلوب ويثير مشاعر الشوق والإيمان .

وفى موضع آخر من السورة ، جاء الجناس فى مشهد الاحتضار والموت ، حيث يقول تعالى : ﴿ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ . وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ . وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ . وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ . إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴾ [القيامة : ٢٦ ـ ٣٠] .

فجانس بين : (راق ـ الفراق) وجانس بين : (الساق ـ المساق) ، وذلك فى إيقاع صوتى مديد ـ عن طريق حرف الألف الممدود ـ فأوحى بشعور الموقف وطبيعة المشهد « وكأنه يخرج من ثنايا الألفاظ ويتحرك كما تخرج ملامح الصورة من خلال لمسات الريشة . . يتلفت الحاضرون حول المحتضر يتلمسون حيلة أو وسيلة لاستنقاذ الروح المكروب : ﴿ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴾ لعل رُقية تفيد . . وتلوّى المكروب من السكرات والنزع : ﴿ وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴾ .

إن المشهد ليكاد يتحرك وينطق . وكل آية ترسم حركة . وكل فقرة تخرج لمحة . وحالة الاحتضار ترتسم ويرتسم معها الجزع والحيرة . . ويسدل الستار على

المشهد الفاجع، وفى العين منه صورة ، وفى الحس منه أثر ، وعلى الجو كله وجوم صامت مرهوب »[(١)] .

* * *

المرسلات :

بدأت هذه السورة الكريمة بالجناس فى سياق القسم ، وذلك فى قوله تعالى: ﴿ وَالْمُرْسَلاتِ عُرْفًا . فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا ﴾ [المرسلات : ١ ، ٢] .

فوقع الجناس بين : (عُرفا ـ عصفا) وذلك فى إيقاع صوتى عاصف ، وقد اختلف المفسرون فى معنى المرسلات : أهى الملائكة ، أم الرسل ، أم الريح . . قال ابن كثير : والأظهر أن : ﴿ الْمُرْسَلاتِ ﴾ هى الرياح [(٢)] . وهذا يناسب ذكر العصف ، ولذلك « عطف المتجانسين بالفاء فقال :﴿وَالْمُرْسَلاتِ عُرْفًا . فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا ﴾ ، ثم عطف ما ليس من جنسها بالواو [(٣)] فقال : ﴿ وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا ﴾ .

وجاء الجناس فى مشهد ذكر دلائل القدرة ومبعث الإيمان ، يقول تعالى : ﴿ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ. فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴾ [المرسلات: ٢٠ ، ٢١].

فجانس بين : (مهين ـ مكين) وذلك فى إيقاع صوتى رتيب يوحى بحقارة هذا الماء ومهانته ـ وهو منىّ الرجل ـ ويوحى بطبيعة (القرار) المنيع . .

وقد ساعد على إبراز هذا الإيقاع الرتيب ، ما اشتملت عليه الكلمتان من حرف المد (الياء) وصيغة المبالغة (فعيل) .

وفى وصف جهنم ـ عياذا بالله ـ جاء الجناس فى قوله تعالى : ﴿ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ . كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ ﴾ [المرسلات : ٣٢ ، ٣٣] .

---

(١) الظلال ، جـ٥ ، ص٣٧٧٢ .
(٢) مختصر ابن كثير، جـ٣ ، ص٥٨٧ .
(٣) صفوة التفاسير ، جـ٣ ، ص٥٠٠ .

فجانس بين : (القصر ـ صفر) فى إيقاع سريع خاطف ، يعمل على إبراز المشهد فى صورة مفزعة .. الشرر يشبه القصر الضخم ، فكيف بالنار ذاتها ؟!.. إنه يشبه الجمال الصفر فى ضخامتها ولونها وعنف هياجها .. إنها لوحة فنية ، يكاد الشرر يتطاير من بين خطوطها وألوانها المتداخلة : الحمراء المشتعلة والصفراء الملتهبة .

* * *

سورة النازعات :

اشتملت السورة على مطلع متناسق المشاهد ، متلاحم الخطوط فى ظل الجناس الوارد فى سياق القسم ، وذلك فى قوله تعالى :

﴿ وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا . وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا . وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا . فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا . فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا . يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ . تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ﴾ [النازعات : ١ ـ ٧] .

فجاء الجناس بين : ﴿ وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا . فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا ﴾ قال الحسن : الملائكة سبقت إلى الإيمان والتصديق ، وجانس بين : (الراجفة ـ الرادفة) ، قال ابن عباس : هما النفختان الأولى والثانية [١] .

والمشهد باحتوائه على هذه الأحداث يثير إرهاصات خاصة فى جو من الرهبة والارتجاف حتى « لكأنما كل شىء هنا يرجف ويلهث : الإيقاع والألفاظ والصور والمعانى ، ولكأنما كل شىء هنا يركض وهو فى شبه غمرة وفى خفقان أو اضطراب، لا يدرى مما حواليه شيئا .. ذلك طابع السياق كله بمشاهده وإيقاعاته . حيث يرتفع إلى مستوى من التناسق الكامل بين جميع الجزيئات » [٢] .

وجاء الجناس فى ذكر مظاهر القدرة الإلهية ، وذلك فى قوله تعالى : ﴿ أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا . رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا . وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا .

(١) مختصر ابن كثير، جـ٣ ، ص٥٩٥ .

(٢) مشاهد القيامة فى القرآن ص٢٢٣ .

وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴾ [النازعات : ٢٧ ـ ٣٠] .

فجانس بين : (ضحاها ـ دحاها) وقد جاء هذا الإيقاع المتعالى الصوت فى سياق الاستفهام التوبيخى التعجبى : ﴿ أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴾ ، وفى تقديم السماء على البناء ، ولم يقل : (أم بناء السماء) إثارة ذهنية وإيقاظ للقلب لينتبه من غفلته ويتأمل فى أمر يسهل مشاهدته .

وقد جاء هذا الإيقاع فى سياق الطباق بين : (السماء ـ الأرض) وبين : (أغطش ـ ضحاها) ، وأغطش يعنى : أظلم ، و ﴿ دَحَاهَا ﴾ : دحا الأرض . ودحوها أن أخرج منها الماء والمرعى ، وخلق الجبال والجمال والآكام ، وما بينهما، فى يومين آخرين [1] .

* * *

سورة التكوير :

كان من الطبيعى أن يأتى الجناس فى مطلع هذه السورة المكية الكريمة ، وهى تتحدث فى بدايتها عن القيامة وأهوالها وذلك لما له من دور إيقاعى فى إبراز المشاهد المختلفة ، يقول تعالى : ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ . وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ . وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ . وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ . وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴾ [التكوير : ١ ـ ٥] .

فوقع الجناس بين : (كورت ـ انكدرت) وجاء بين: ﴿ الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴾ . . فأحدث بإيقاعه هنا دويا هائلا مصاحبا لانقلاب النظام الكونى المنتظم ، فما كان من كوكب أو نجم سائر إلا توقف وسقط ، وما كان من ثابت وراسخ إلا سار ونسف فى الهواء . . إنه مشهد إيقاعى خاطف قد بدأ « بحركة جائحة ، وثورة ثائرة ، وكأنما انطلقت من عقالها المردة المدمرة ، فراحت تقلب كل شىء ، وتنثر كل شىء . تهيج الساكن . وتروّع الآمن . . والموسيقى المصاحبة للمشهد سريعة الحركة ، لاهثة الإيقاع ، تشترك بإيقاعها السريع فى تصوير المشهد وتمثيله فى

(١) معجم غريب القرآن ص٥٤ ، ص١٤٨ .

الإحساس » (١) .

وقد جاء الجناس فى موضع آخر من السورة ، فى سياق القسم ببعض مظاهر الكون ، يقول تعالى : ﴿ فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّس. الْجَوَارِ الْكُنَّسِ . وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَس. وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّس. إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيم.ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ . مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التكوير: ١٥ ـ ٢١].

فجاء الجناس بين : (الخُنس ـ الكُنس) وجاء بين : (مكين ـ أمين) وذلك فى مشهد إيقاعى يزخر بالحركة والحيوية .. فهذه كواكب تخنس ، أى تختفى بالنهار ، وهى تجرى مع الشمس والقمر ، وتكنس : أى ترجع حتى تختفى تحت ضوء الشمس ، ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَس ﴾ قال أهل اللغة :هو من الأضداد ، يقال : عسعس الليل : إذا أقبل ، وعسعس : إذا أدبر .. ﴿ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّس ﴾ أى : إذا أقبل ، لأنه يقبل بروح ونسيم ، فجعل ذلك تنفسا له مجازا .. والرسول الكريم : جبريل ، أو النبى محمد ﷺ (٢) .

* * *

سورة الانشقاق :

جاء الجناس فى موضع واحد فى هذه السورة ، وهو ـ أيضا ـ فى سياق القسم ببعض مظاهر الكون ، يقول تعالى: ﴿ فَلا أُقْسِمُ بِالشَّفَق . وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَق . وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ﴾ [الانشقاق: ١٦ ـ ١٨].

فجاء الجناس بين : (وسق ـ اتسق) ، وقد وسق الليل واتسق ، كل ما دخل فى الليل وانضم .. واتسق القمر : استوى . واتساق القمر : امتلاؤه واجتماعه واستواؤه ليلة ثلاث عشرة وأربع عشرة (٣) .

(١) مشاهد القيامة فى القرآن ص٦٧ .

(٢) فتح القدير، جـ٥ ، ص٥١٩ .

(٣) لسان اللسان : مادة : وسق .

وقد جاء الجناس هنا فى سياق القسم بثلاثة ظواهر كونية متدرجة ومترتبة فى حدوثها زمنيا .. الشفق : حمرة الغروب ، الليل بظلامه ، القمر عند تمامه وسطوعه ، إنها لوحة لونية تُمتع الأبصار ، وتُرهف الآذان بإيقاعاتها الهادئة الشجية عن طريق هذا اللون البديعى الرائق ـ الجناس ـ وعن طريق تلك الكلمات المختارة فى ظل التوكيد بالقسم بعد (لا) الزائدة .

* * *

سورة البروج :

جاء الجناس فى هذه السورة الكريمة فى قوله تعالى : ﴿ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ . إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴾ [البروج : ٥ ، ٦] .

فوقع الجناس بين : (الوقود ـ قعود) ، وهذا الترديد الصوتى بين الكلمتين يوحى بطبيعة المشهد وأحداثه المشتعلة ، فيرسم صورة بصرية حسية لهذه النيران الموقدة ، وهؤلاء الكافرون ﴿ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴾ .. وهذا اللفظ ﴿عَلَيْهَا﴾ يوحى بالاستعلاء ، فيرسم صورة نفسية لهؤلاء القاعدين وهم يراقبون إضرام النيران فى الأخاديد ، ويراقبون احتراق المؤمنين فيها ، فيتلذذون بذلك !!

* * *

سورة الفجر :

جاء الجناس فى هذه السورة الكريمة ، فى موضع الاستفهام التقريرى لأنه يحمل الوعيد ، وذلك فى قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ . إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴾ [الفجر : ٦ ، ٧] .

فجانس بين : (عاد ـ العماد) وعاد هم قوم هود ، العماد : القوة والشدة، مأخوذة من قوة الأعمدة ، وقال مقاتل : ذات العماد : يعنى طولهم . كان طول الرجل منهم اثنا عشر ذراعا . ويقال : رجل طويل العماد ، أى : القامة ، وإرم

اسم القبيلة أو بدلا منه [١] .

* * *

سورة البلد :

جاء الجناس فى هذه السورة الكريمة فى سياق الأسلوب الإنشائى الاستفهامى الذى تآخى مع الترديد الصوتى للجناس فخرجت صورة متآلفة الخطوط ، متناسقة الجوانب ، يقول تعالى: ﴿ فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ . فَكُّ رَقَبَةٍ . أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ. يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ . أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴾ [البلد : ١١ ـ ١٦] .

فجانس بين : (العقبة ـ رقبة) وجانس بين : (مقربة ـ متربة) ، فهذا الإيقاع الموسيقى نسمعه فى خضم اقتحام العقبة « والعقبة استعارة للعمل الشاق على النفس ، من حيث فيه بذل المال ، تشبيها لها بعقبة الجبل وهو ما صعب منه وقت الصعود فإنه يلحقه مشقة فى سلوكها » [٢] .

ومن تفنن السياق أن يأتى استفهام التعجب ﴿ فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴾ وهو يحمل معنى التحضيض والحث أيضا على اقتحام العقبة ثم يأتى بعده ـ متتابعا ـ استفهام التهويل ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴾ ، وهذا كله على سبيل الإجمال الذى فُصّل بالآيات المتتابعة : ﴿ فَكُّ رَقَبَةٍ . أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴾ والمسغبة: المجاعة[٣] ، فأول مراتب الحاجة إلى الطعام الجوع ثم السغب[٤] .

وهذا النغم الغليظ فى اقتحام الخير والحث عليه فى هذا المقام، يعقبه إيقاع آخر غاية فى اللين والرتابة ليناسب جو اليُتم المصاحب للقرابة، وجو المسكين رفيق التراب (كناية عن الفقر المهين)، وذلك نسمعه من إيقاع الجناس بين: (مقربة ـ متربة) .

* * *

(١) فتح القدير ، جـ٥ ، ص٥٨٠ .

(٢) أبو حيان ـ تفسير البحر المحيط ـ دار الفكر ـ ط٢ ـ ١٩٨٣م ، جـ٨ ، ص٤٧٣ .

(٣) معجم غريب القرآن ص٨٩ .

(٤) فقه اللغة للثعالبى ص٢٠٨ .

سورة الشمس :

جاء الجناس فى موضع واحد من هذه السورة فى قوله تعالى : ﴿ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاهَا . وَالنَّهَارِ إِذَا جَلاَّهَا ﴾ [الشمس : ٢ ، ٣] .

فجانس بين : (تلاها ـ جلاها) ، وذلك فى إيقاع مديد ، قد زاد منه تكرار المد للألف، فتمتد معه الأعناق وتهتز القلوب للوقوف على مظاهر قدرة الله تعالى وعظمته التى أقسم بها فى هذه الآيات فى ظل صورة متغيرة بين الليل ﴿ وَالْقَمَرِ ﴾ وضياء النهار ﴿ وَالنَّهَارِ ﴾، وذلك فى أسلوب استعارى يزخر بالحركة فى ﴿ تَلاهَا ﴾ و﴿ جَلاَّهَا ﴾ .

* * *

سورة الضحى :

قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ . وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ ﴾ [الضحى:٩ ، ١٠].

فوقع الجناس بين : (فلا تقهر ـ فلا تنهر) ، وذلك فى جو من الحديث عن اليُتم والسائل الفقير ، فكان الإيقاع هادئا لطيفا من خلال : « النظم اللطيف العبارة ، الرقيق اللفظ ، ومن هذه الموسيقى السارية فى التعبير ، الموسيقى الرتيبة الحركات الوئيدة الخطوات ، الرقيقة الأصداء ، الشجية الإيقاع » [1] .

فهذه الرقة اللفظية ، وهذا الإيقاع اللطيف يثير فى النفس غرائز الحنان والشفقة والتجاوب النفسى مع اليتيم والفقير ، وفى ذكر (القهر) مع اليتيم ، و(النهر) مع السائل الفقير، تناسب لفظى وتلاؤم نفسى، فنجد أن الإيقاع الموسيقى قد ارتفع شيئا ما من خلال هاتين الكلمتين المتجانستين ، لتلقيا ظلالا نفسية لما يشعره اليتيم من أثر ظلمه أو الإساءة إليه ، ولما يحس به الفقير ساعة زجره .

* * *

(١) سيد قطب ـ التصوير الفنى فى القرآن ـ ص١٢٥ .

سورة الشرح :

قال تعالى : ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا . إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ [الشرح: ٥ ، ٦] .

فجانس بين : ﴿ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ وهو جناس ذو إيقاع هادئ رتيب يبعث بالانشراح وسعة الصدر والبشرى بالفرج بعد الضيق ، وفيه تسرية للنفس عن طريق التوكيد اللفظى الناشئ عن تكرار هذه الجملة . . وتنكير كلمة ﴿ يُسْرًا ﴾ وتكرارها يدل على أن « الثانى غير الأول ، وإلا كان المناسب هو التعريف ؛ بناء على كونه معهودا سابقا ، قالوا : والمعنى فى هذا والذى قبله أن النكرة تستغرق الجنس، والمعرفة تتناول البعض، فيكون داخلا فى الكل، سواء قدم أو أخر »[1].

وفى الحديث الشريف : « لن يغلب عسر يسرين » [2] .

* * *

سورة العلق :

قال تعالى : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ . خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴾

[العلق : ١ ، ٢]

فجانس بين : (خلق ـ علق) ، وفيه إيقاع قوى شديد ، وقد زاد منه حرف القاف وهو مجهور شديد يخرج من أقصى اللسان فيوقظ الذهن ويلفت الانتباه إلى حقيقة الخلق ، وقدرة الله ـ سبحانه وتعالى ـ التى تتجلى فى خلق الإنسان من تلك النطفة المعلقة على جدار الرحم . . « والعربية قد استعملت العلق ماديا فى كل ما يعلق وينشب كالدم ، والمحور الذى تعلق عليه البكرة ، وعلقت المرأة : حملت . ومعنويا فى العلاقة تنشب بين اثنين حبا وبغضا ، وفى الصلة تربط

---

(١) البرهان فى علوم القرآن ، جـ٤ ، ص٩٧ .

(٢) رواه ابن جرير عن قتادة . [انظر : مختصر ابن كثير] .

بينهما »(١) .

وفى الآيتين تشابه أطراف ، حيث انتهت الآية الأولى بما بدأت به الآية الثانية ﴿خَلَقَ﴾ ، وفيه أيضا - إطناب عن طريق هذا التكرار ، لتقف النفس طويلا لتتأمل بديع صنع الله .

وجاء ذكر الربوبية ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾ لأن المقام مقام تربية وتهذيب وتعليم ﴿ اقْرَأْ ﴾ ،والقرآن الكريم يحث على طلب العلم فى أول آية نزلت على النبى ﷺ وهذا العلم - دينيا أو دنيويا - يُثاب عليه الإنسان ، مادام كان طلبه وإنفاقه ﴿ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾ أى : خالصا لله تعالى .

* * *

سورة العاديات :

قال تعالى : ﴿ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا . فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا . فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا . فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا . فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا . إِنَّ الإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ . وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيد . وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ . أَفَلا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ . وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ . إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴾ [العاديات : ١ - ١١] .

فجاء الجناس بين : (ضبحا - صبحا) وجاء - أيضا - (لشهيد - لشديد) . . فالموسيقى هنا صاخبة عنيفة تناسب الموضوع ، وهو الحديث عن الإنسان الكنود - الجحود - لربه . . وفيها « خشونة ودمدمة وفرقعة . وهى تناسب الجو الصاخب المعفر كذلك ، تثيره الخيل الضابحة بأصواتها ، القادحة بحوافرها ، المغيرة مع الصباح ، المثيرة للغبار ، فكان الإطار من الصورة ، والصورة من الإطار ، لدقة التنسيق وجمال الاختيار »(٢) .

* * *

(١) د . عائشة عبد الرحمن - التفسير البيانى للقرآن - القاهرة - دار المعارف - ط٣ - ١٩٧٧م - جـ٢ ، ص١٨ .
(٢) سيد قطب - التصوير الفنى فى القرآن - ص١٢٦ .

سورة الهمزة :

قال تعالى : ﴿ وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ ﴾ [الهمزة : ١] .

فالجناس بين : (همزة ـ لمزة) وهو جناس ذو إيقاع عنيف يبعث على إثارة الفزع والهلع من جراء هذا الوعيد بالويل والهلاك للذى جمع المال وكنزه دون مراعاة حق الله فيه . .

والهماز : الذى يغتاب الناس ويطعن فى أعراضهم ، وبناء « فعلة » يدل على الاعتياد ، فلا يقال : لُعنة وضُحكة إلا للمكثر المعتاد . واللماز : الذى يعيب الناس وينال منهم بالحاجب والعين (١) .

* * *

سورة الفلق :

قال تعالى : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ . مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾ [الفلق : ١ ، ٢] .

فوقع الجناس بين : (الفلق ـ خلق) ، فهذا الإيقاع الصوتى مع إيقاع الكلمات المختارة فى الآيات التالية : ﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ . وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ . وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ ، فإن ذلك كله يتضافر فى صورة رهيبة من الظلام ، ونفث الساحرات والشرر المتطاير من أعين الحاسدين . . وهذه « الأجزاء موزعة على الرقعة توزيعا متناسقا ، متقابلة فى اللوحة ذلك التقابل الدقيق ، وكلها ذات لون واحد ، فهى أشياء غامضة مرهوبة ، يلفها الغموض والظلام . والجو العام قائم على أساس هذه اللوحة فى الأجزاء والألوان » (٢) .

* * *

---

(١) صفوة التفاسير ، جـ٣ ، ص٦٠٢ .

(٢) سيد قطب ـ التصوير الفنى فى القرآن ـ ص١١٧ .

سورة الناس :

قال تعالى : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ . مَلِكِ النَّاسِ . إِلَهِ النَّاسِ . مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴾ [الناس : ١ ـ ٤].

فجانس بين : (الخناس ـ الناس) وقد جاء هذا الإيقاع فى ظل صوت موسيقى آخر ناشئ من ترديد حرف (السين) المهموس ، فأوحت هذه الأصوات بجو المشهد ، وصورة إبليس اللعين الذى ينفر من ذكر الله تعالى ويخنس . . والاسترسال فى ذكر الله تعالى بلفظ (رب ـ ملك ـ إله) للشمول والإحاطة بكافة أنواع الاستعاذة والحماية والإغاثة ، فهو رب الأرباب ، وهو ملك الملوك ، وهو الإله الواحد الأحد لا شريك له ، ولا ولد ولا صاحبة ولا والد له .

* * *

الفصل الثانى

الجناس المعنوى
فى بديع القرآن



الفصل الثانى

الجناس المعنوى فى بديع القرآن

قد يختلف الكلام لفظا ، ولكنه يتشابه معنى ، وهذا من بديع الأسلوب ، وجميل التعبير ، فإن المعنى إذا أعيد بلفظ مغاير كان ألصق بالفكر وأوقع فى القلب ، وأدى الغرض المطلوب وحقق الهدف المنشود .

وقد ورد هذا اللون البديعى فى القرآن الكريم فى مواضع كثيرة مختلفة الأغراض ، فعمل هذا الأسلوب على حسن الالتفات وقوة الانتباه ، وإبراز المعنى فى صورة جلية ، فمثلا قول الله تعالى فى سورة الكافرون : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ . لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ . وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾

فنجد قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾ يتجانس معنويا مع قوله :﴿ وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾ ، فكفرهم يعنى عدم عبادتهم لله تعالى ، وفيه تبكيت لهم وتوبيخ لأعمالهم الفاسدة ، وفيه توكيد للمعنى عن طريق هذه المزية البلاغية والفضيلة المعنوية .

وعلى الرغم من مجىء هذا الأسلوب كثيرا فى القرآن الكريم ، إلا أننا لا نجد له ذكرا يذكر فى كتب البلاغيين القدماء، ومن ذكره منهم فإنما يذكره على استحياء، وقد أشار إليه ابن رشيق فى كتابه « العمدة » عند وقوفه عند قول قيس بن الخطيم :

وإنى لأغنى الناس عن مُتكلف   يرى الناس ضُلالا وليس بمهتدى

كأنه قال: «وهو ضال» فجانس فى الباطن ، وإن كان قد طابق فى الظاهر(١).

---

(١) ابن رشيق ـ العمدة فى محاسن الشعر وآدابه ونقده ـ تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد ـ بيروت ـ دار الجيل ـ ط٥ ـ ١٩٨١ م ـ جـ٢ ، ص١٤ .

وهذا الأسلوب من شأنه أن يثير التشويق فى النفس ، وأن يعمل على يقظة الذهن وقوة الملاحظة والتأمل .

* * *

سورة الفاتحة :

قال تعالى : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ. صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ [الفاتحة : ٦ ، ٧] .

فالجناس المعنوى بين هاتين الآيتين ، فهما بمعنى .. فالطريق المستقيم هو طريق الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وهو ليس بطريق المغضوب عليهم ، وليس بطريق الضالين .. وقد أفاد الجناس هنا التوضيح والتوكيد .

و﴿ اهْدِنَا ﴾ فعل أمر مبنى على حذف حرف العلة ، وهو هنا بمعنى الدعاء ، و﴿الصِّرَاطَ﴾ مفعول به ثان ، أو منصوب بنزع الخافض ؛ لأن هدى لا تتعدى إلا إلى مفعول واحد ، وتتعدى إلى الثانى باللام (١) . والمعنى : وفقنا للثبات على ما ارتضيته ووفقت له من أنعمت عليه من عبادك من قول وعمل ، وذلك هو الصراط المستقيم (٢) .

وانتصب ﴿ صِرَاطَ ﴾ على أنه بدل من الأول ، وفائدته : التوكيد ، لما فيه من التثنية والتكرير ، ويجوز أن يكون عطف بيان ، وفائدته : الإيضاح (٣) .

* * *

---

(١) إعراب القرآن الكريم وبيانه ، جـ١ ، ص٣٠ .

(٢) ابن جرير الطبرى ـ جامع البيان فى تفسير القرآن ـ بيروت ـ دار المعرفة ـ ط٢ ـ ١٩٧٢م ، جـ١ ، ص٥٧.

(٣) فتح القدير ، جـ١ ، ص٩٢ .

سورة البقرة :

قال تعالى : ﴿ الـمٓ . ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ. الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ .وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ . أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

[البقرة:١ ـ ٥]

فالجناس المعنوى هنا بين : ﴿ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ وباقى الآيات التى تحمل صفاتهم وتنبئ عن أحوالهم، فالمتقون هم ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾ وهم الذين ﴿ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ ﴾ وهم الذين ﴿ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُون ﴾ إلى آخر هذه السمات والصفات ، وفى ذلك إثارة لحمية التقوى فى القلوب ، وتشويق للتعرف على صفات المتقين .

وفى قوله تعالى : ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ مجاز مرسل ، وعلاقته اعتبار ما يؤول إليه ، أى : الصائرين إلى التقوى . . وفى قوله تعالى : ﴿ عَلَىٰ هُدًى ﴾ استعارة تصريحية تبعية، تشبيها لحال المتقين بحال من اعتلى صهوة جواده، فحذف المشبه، واستعيرت كلمة ﴿ عَلَى ﴾ الدالة على الاستعلاء لبيان أن شيئا تفوق واستعلى على ما بعدها حقيقة [١] .

قال تعالى: ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ [البقرة:٤٣].

إيقاع صوتى ناشئ من هذا التقسيم: ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ ﴾ . . ﴿ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ . . ﴿ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ وإقامة الصلاة تتجانس معنويا مع الركوع وهو من باب ذكر الخاص بعد العام وخص الركوع بالذكر « لأن اليهود لا ركوع فى صلاتهم . وقيل : « الركوع» الخضوع والانقياد لما يلزمهم فى دين الله ويجوز أن يراد بالركوع: الصلاة ، كما يعبر عنها بالسجود،وأن يكون أمرا بأن يصلى مع المصلين، يعنى فى الجماعة»[٢].

---

(١) إعراب القرآن الكريم وبيانه ، جـ١ ، ص٤٠ .

(٢) إعراب القرآن الكريم وبيانه ، جـ١ ، ص١٠٢ .

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ [البقرة : ٤٩] .

فجانس بين : ﴿ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ﴾ وبين : ﴿ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ﴾ فجملة ﴿ يُذَبِّحُونَ ﴾ جملة تفسيرية لا محل لها ، ويمكن أن تكون بدلا من جملة ﴿ يَسُومُونَكُم ﴾ ، وجملة ﴿ وَيَسْتَحْيُونَ ﴾ عطف على ﴿يُذَبِّحُونَ﴾ [1] . وفى هذا الإبهام ﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾ ثم التوضيح ﴿يُذَبِّحُونَ...﴾ من الروع والتهويل اللذين يأخذان بالنفس ، وفيه أيضا إثارة لرغبة الذهن فى التطلع إلى نوعية ﴿ سُوءَ الْعَذَابِ ﴾ ، وفيه تقديم ﴿ سُوءَ ﴾ على ﴿الْعَذَابِ﴾ لينصرف الذهن إلى فداحة هذا العذاب وشدة وقعه .

قال تعالى : ﴿ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ ﴾ [البقرة : ١٠٢].

فالجناس المعنوى بين : ﴿كَفَرُوا﴾ وبين : ﴿ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ ﴾ ، فوجه كفرهم ، تعليم الناس السحر . وفيه حسن التفات إلى قبح هذا العمل والتنبيه على شرّه .

قال تعالى : ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ [البقرة : ١٠٤] .

فالجناس المعنوى بين : ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾ وبين ﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ ، فالقبلة التى يرضاها النبى ﷺ هى المسجد الحرام ، فهما بمعنى .

قال تعالى : ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُون ﴾

[البقرة : ١٥٢]

ولا تكفرون أى لا تجحدون ، وإذا انتفى كفران النعمة وجحودها ، كان

---

(١) الكشاف ، جـ١ ، ص١٣٣ .

الشكر ، فيتجانس ﴿ وَاشْكُرُوا ﴾ مع ﴿ وَلا تَكْفُرُون ﴾ لأن الكفر هنا بمعنى ستر النعمة لا التكذيب (١) .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالاً طَيِّبًا وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ . إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُون ﴾ [البقرة:١٦٨ ، ١٦٩] .

فالتقدير : السوء والفحشاء : أن تقولوا على الله ما لا تعلمون ، قال ابن جرير الطبرى : يريد ما حرموه من البحيرة ، والسائبة ونحوهما ، مما جعلوه شرعا. وقيل : هو قولهم : هذا حلال وهذا حرام ، بغير علم . والظاهر أنه يصدق على كل ما قيل فى الشرع بغير علم (٢) .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَىٰ بِالأُنثَى ﴾ [البقرة : ١٧٨] .

أى : القصاص فى القتلى : قتل الحر بالحر . . . فهذا عين ذلك ، وجمهور الفقهاء على أنه لا يقتل المسلم بالكافر ، ويقتل الرجل بالمرأة .

قال تعالى : ﴿ . . . فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ . . . ﴾
[البقرة : ١٩٦]

فقوله تعالى : ﴿ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُم ﴾ يتجانس معنويا مع قوله تعالى : ﴿ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾ ، وهذه الجملة الأخيرة تفيد إزالة الإبهام ؛ لئلا يظن أن (الواو) بمعنى (أو) فيكون كأنه قال : فصيام ثلاثة أيام فى الحج أو

(١) فتح القدير ، جـ١ ، ص٢٩٦ .
(٢) فتح القدير ، جـ١ ، ص٣١٠ .

سبعة إذا رجعتم ؛ لأنه إذا استعمل (أو) بمعنى (الواو) جاز أن يستعمل (الواو) بمعنى (أو) ، كما قال : ﴿ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلاثَ وَرُبَاعَ ﴾ فالواو ها هنا بمعنى (أو) ، فذكر ذلك لارتفاع اللبس »[١] .

وقال ابن كثير ـ رحمه الله ـ عن قوله تعالى : ﴿ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾ : تأكيد، كما تقول العرب : رأيت بعينى ، وسمعت بأذنى ، وكتبت بيدى . وقال الله تعالى :﴿ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ ﴾ ، وقال : ﴿ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ ﴾ ، وقال: ﴿ وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾[٢] .

قال تعالى : ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا ﴾ [البقرة : ٢٣١] .

فعدم الإمساك بالضرر والعدوان يعنى الإمساك بمعروف أو التسريح بمعروف. . وفى ذلك إثارة لحفيظة التقوى فى القلوب عن طريق هذا التكرار المعنوى . .

وفى التعبير بـ (أمسكوهن ـ سرحوهن) إظهار لضعف المرأة ، والتنبيه على أنها أسيرة عند الرجل ، فلتكن منه التقوى والخوف من الله ، وقد أكد ذلك وأمعن فى إظهاره عن طريق تنكير ﴿ بِمَعْرُوفٍ ﴾ وتكراره .

* * *

سورة آل عمران :

قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ [آل عمران : ٤٥] .

فجانس بين : ﴿ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ﴾ وبين : ﴿ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ والتقدير :

(١) الطبرسى ـ مجمع البيان فى تفسير القرآن ـ بيروت ـ دار مكتبة الحياة ـ بدون تاريخ ـ ص١٥٣ .

(٢) مختصر تفسير ابن كثير ، جـ١ ، ص١٧٦ .

الله يبشرك بالمسيح عيسى .. وفى التعبير بـ ﴿ يُبَشِّرُك ﴾ بعث على الطمأنينة والانشراح القلبى ، ثم أيد ذلك بقوله : ﴿ مِّنْهُ ﴾ .

قال تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران : ٦٤] .

فالكلمة السواء : عبادة الله وحده ، وعدم الشرك به ، وعدم اتخاذ بعضهم بعضا أربابا من دون الله .. وموضع « أن » خفض على البدل من ﴿ كَلِمَةٍ ﴾ أو رفع على إضمار مبتدأ ، التقدير هى ألا نعبد إلا الله . أو تكون مفسرة لا موضع لها ، ويجوز مع ذلك فى ﴿نَعْبُدَ﴾ وما عطف عليه الرفع والجزم : فالجزم على أن تكون « أن » مفسرة بمعنى أى كما قال عز وجل : ﴿ أن امشوا ﴾ وتكون « لا » جازمة . هذا مذهب سيبويه ويجوز على هذا أن ترفع ﴿نَعْبُدُ﴾ وما بعده يكون خبرا . ويجوز الرفع بمعنى أنه لا نعبد ، ومثله : ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴾ (١) .

قال تعالى : ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَائِفَةً مِّنكُمْ..﴾
[آل عمران: ١٥٤]

فجاء الجناس بين : ﴿ أَمَنَةً ﴾ وبين : ﴿ نُّعَاسًا ﴾ ، كأنه قال :(أنزل عليكم نعاسا) و(انعاسا) بدل من أمنة ، أو عطف بيان، وفى قوله تعالى: ﴿ أَنزَلَ﴾ إثارة ذهنية لهذه النعمة، فالنعاس لا يتأتى لأحد فى القتال إلا عند زوال الخوف ووقوع الأمن والأمان وقد قال ابن أبى حاتم، عن عبد الله بن مسعود قال: « النعاس فى القتال من الله ، وفى الصلاة من الشيطان » (٢) .

---

(١) القرطبى ، جـ٤ ، ص١٠٦ .
(٢) مختصر ابن كثير ٣٢٩/١ .

وأول النوم النعاس ، وهو أن يحتاج الإنسان إلى النوم[1]. وفى التعبير بقوله: ﴿ يَغْشَى ﴾ تصوير لطيف يُبين رقة هذا الغشاء الرقيق من النوم لتتجلى قدرة الله وعظمته فى بعث الراحة والأمان من خلال لحظات النعاس وليس النوم ، « وقد أخرج البخارى عن أبى طلحة قال : غشينا النعاس ونحن فى مصافنا يوم أحد . قال : فجعل سيفى يسقط من يدى وآخذه ، ويسقط وآخذه »[2] .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ . الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠ ، ١٩١].

فجانس بين : ﴿ لأُولِي الأَلْبَابِ ﴾ وبين : ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا ..﴾ . فأولو الألباب هم أنفسهم الذاكرون والمتفكرون . . والذاكرون والمتفكرون هم أنفسهم أولو الألباب وفى ذلك مراعاة للنظير ، حيث ائتلف اللفظ ﴿ الأَلْبَابِ﴾ مع المعنى وهو الذكر والتدبر فى ملكوت الله . . فهذا الذكر ينبغى أن يُشغل به القلب قبل أن يتحرك به اللسان ، وهذا التدبر نابع من القلب والعقل ، ويرجع بأثره الإيمانى إلى عمارة القلب بالنور والتقوى والإيمان ، فشمل ذلك جميع الحواس والأحوال من القيام والقعود والنوم .

* * *

سورة النساء :

قال تعالى : ﴿ مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لا إِلَىٰ هَؤُلاءِ وَلا إِلَىٰ هَؤُلاءِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلا ﴾ [النساء : ١٤٣] .

التذبذب : التحير والتردد وقوله جل شأنه : ﴿ لا إِلَىٰ هَؤُلاءِ وَلا إِلَىٰ هَؤُلاءِ ﴾

---

(١) فقه اللغة للثعالبى ص٢٠٧ .

(٢) ابن حجر العسقلانى ـ فتح البارى بشرح صحيح البخارى ـ مراجعة وتحقيق : محب الدين الخطيب وقصى محب الدين الخطيب ومحمد فؤاد عبد الباقى ـ القاهرة ـ دار الريان للتراث ـ ط١ ـ ١٩٨٧م ـ جـ٨، ص٨٦.

تصوير نفسى وسلوكى لحركة الاهتزاز والتذبذب لهؤلاء المتحيرين بين الكفر والإيمان . . وقيل معنى مذبذبين: مطرودين من هؤلاء ومن هؤلاء ، من الذب الذى هو الطرد ، وصفهم سبحانه بالحيرة فى دينهم وإنهم لا يرجعون إلى صحة نية لا مع المؤمنين على بصيرة ، ولا مع الكافرين على جهالة ، وقال رسول الله ﷺ : « إن مثلهم مثل الشاة العابرة بين الغنمين تتحير فتنظر إلى هذه وهذه ، لا تدرى أيهما تتبع » (١) .

قال تعالى : ﴿ يَسْئَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ . . . ﴾

[آل عمران : ١٥٣]

﴿ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِن ذَلِك ﴾ يتجانس معنويا مع ﴿ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً ﴾، وفى ذلك إثارة ذهنية لأنه ذكر سؤالهم مجملا مبهما ثم بينه ووضحه فكان أدعى للتشويق ولفت الانتباه ، وهذا الأسلوب ـ فى عمومه ـ يحمل التسرية والتثبيت للنبى ﷺ .

و(الجهر) يقال لظهور الشىء بإفراط حاسة البصر أو حاسة السمع ، أما (البصر) فنحو : ﴿ وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ ، وانتصابها على أنها مصدر مؤكد مزيل الاحتمال أن تكون الرؤية مناما أو علما بالقلب (٢) .

قال تعالى : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلا ﴾ [النساء : ١٧١] .

---

(١) الطبرسى ، جـ٢ ، ص٢٦٩ .

(٢) الألوسى ـ روح المعانى ـ القاهرة ـ دار التراث ـ بدون تاريخ ـ جـ٣ ، ص٢٦٢ .

فقوله تعالى : ﴿ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَ ﴾ يتجانس معنويا مع قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ . . فعدم الغلو فى الدين هو الاعتقاد بـ : ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ . . ﴿وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَ ﴾ فالقول الحق : ﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ .

وفى قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾ بعد قوله : ﴿ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُم ﴾ توكيد وإزالة الشبهة من أصلها . . قال ابن عطية : ﴿ إِنَّمَا﴾ فى هذه الآية حاصرة اقتضى ذلك العقل فى المعنى المتكلم فيه ، وليست صيغة إنما تقتضى الحصر ، ولكنها تصلح للحصر والمبالغة فى الصفة وإن لم يكن حصر ، نحو : إنما الشجاع عنترة ، وغير ذلك . . وهو صحيح وإن كان خلاف ما فى أذهان كثير من الناس [1] .

وتنكير ﴿ رُوح ﴾ يفيد التعظيم ، والمعنى : وروح من الأرواح الشريفة القدسية العالية ، وقوله : ﴿ مِّنْه ﴾ إضافة الروح إلى نفسه لأجل التشريف والتعظيم[2] .

وقوله تعالى : ﴿ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْض ﴾ بعد قوله : ﴿ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَد ﴾ تبكيت لهؤلاء المشركين وتسفيه لعقولهم ، وهو « إخبار لملكه بجميع من فيهن فيستغرق ملكه عيسى عليه السلام وغيره ، ومن كان ملكا لا يكون جزءًا من المالك على أن الجزئية لا تصح إلا فى الجسم، والله تعالى منزه عن الجسم والعرض[3] .

* * *

(١) تفسير البحر المحيط ، جـ٣ ، ص٤٠٢ .

(٢) الفخر الرازى - التفسير الكبير - بيروت - دار إحياء التراث العربى - ط١ - ١٩٩٥م - جـ٤ ، ص٢٧١.

(٣) البحر المحيط ، جـ٣ ، ص٤٠٢ .

سورة المائدة :

قال تعالى : ﴿وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة :٥٦]

فهذا الحزب ـ حزب الله ـ يتجانس معنويا مع قوله تعالى : ﴿ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾ ، وقوله سبحانه : ﴿ فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ ﴾ من إقامة الظاهر مقام المضمر. ومعناه : فإنهم هم الغالبون ، ولكنهم بذلك جعلوا أعلاما لكونهم حزب الله . وأصل الحزب : القوم يجتمعون لأمر حزبهم ، ويحتمل أن يريد بحزب الله : الرسول والمؤمنين . ويكون المعنى : ومن يتولهم فقد تولى حزب الله ، واعتضد بمن لا يغالب (١) .

قال تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُوْلَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ [المائدة : ٦٠] .

فقوله تعالى : ﴿ بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ ﴾ يتجانس معنويا مع قوله جل شأنه : ﴿ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ﴾ .

ومجيء الأسلوب فى سياق الاستفهام وقوله : ﴿ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ ﴾ فيه مزيد من مزيد من التهويل والوعيد . . وقوله : ﴿ مَثُوبَةً ﴾ منصوب على التمييز ، ووزنها مفعلة، فإن قيل: المثوبة مختصة بالإحسان ، فكيف جاءت فى الإساءة؟ قلنا :هذا على طريقة قوله : ﴿ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [آل عمران:٢١] ، وقول الشاعر :

تحية بينهم ضرب وجيع (٢)

قال تعالى: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾[المائدة:١١٧]

(١) الكشاف ، جـ١ ، ص٦٤٩ .

(٢) الفخر الرازى ـ التفسير الكبير ، جـ٤ ، ص٣٩٠ .

فقد تجانس معنويا قوله تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام : ﴿ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ ﴾ مع قوله سبحانه حكاية عن عيسى أيضا :﴿ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُم ﴾ ، فكأنه قال : (ما قلت لهم إلا أن أعبدوا الله ربى وربكم) وفى هذا توكيد وتفصيل بعد إجمال ، من شأنه إثبات عبودية عيسى عليه السلام ورسالته .

* * *

سورة الأنعام :

قال تعالى : ﴿ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلاَّ كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ . فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾

[الأنعام : ٤ ، ٥]

قوله تعالى : ﴿ إِلاَّ كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴾ يتجانس معنويا مع قوله سبحانه : ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُم ﴾ .. فالإعراض والتكذيب بمعنى ، وقد صور القرآن الكريم مدى إصرارهم على التعنت والتكذيب بقوله : ﴿ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِم ﴾ و ﴿ آيَة ﴾ نكرة فى سياق النفى تفيد العموم والشمول .

والجناس فى الآية الكريمة قد صور المشهد السلوكى لحركة الإعراض والنفور عندما تأتيهم الآيات ويرون الحق البيّن ؛ لذلك فقد توعدهم الله تعالى بقوله : ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ .

قال تعالى : ﴿ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

[الأنعام:٥٤]

فقوله تعالى : ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾ يتجانس معنويا مع قوله تعالى : ﴿ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾. وذكر الرحمة مجملة أولا ، ثم تفسيرها ، فيه إثارة ذهنية وبعث

للتشويق .

وقد قرأ ابن عامر وعاصم ونافع بفتح «أن» من ﴿ أنَّه ﴾ وقرأ الباقون بكسرها. فعلى القراءة الأولى . تكون هذه الجملة بدلا من الرحمة ، أى كتب ربكم على نفسه أنه من عمل . . إلى آخره . وعلى القراءة الثانية : تكون هذه الجملة مفسرة للرحمة بطريق الاستئناف ، وموضع بجهالة النصب على الحال ، أى : عمله وهو جاهل .

وقوله تعالى : ﴿ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ تكون أن وما بعدها خبر لمبتدأ محذوف ، أي فأمره أن الله غفور رحيم [1]

* * *

سورة الأعراف :

قال تعالى : ﴿ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ . الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ﴾

[الأعراف : ٤٤ ، ٤٥]

فهنا جناس معنوى بين ﴿ الظَّالمين ﴾ وبين صفاتهم التى تخبر عن سجاياهم : ﴿ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ﴾ .

ومثل ذلك أيضا ـ قوله تعالى: ﴿ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ . الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾ [الأعراف: ٥٠ ، ٥١] .

قال تعالى : ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ

(١) فتح القدير ، جـ٢ ، ص١٦٩ .

الْعَالَمِينَ . إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾

[الأعراف : ٨٠ ، ٨١]

فقد تجانس : ﴿ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴾مع : ﴿ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾ ، فكان التقدير : ولوطا إذ قال لقومه أتاتون الرجال شهوة من دون النساء ؟!

وفى الأسلوب مزيد من التقريع والتبكيت عن طريق الاستفهام الإنكارى التعجبى . وتنكير كلمة ﴿ أَحَد ﴾ المسبوقة بـ﴿ مِن ﴾ فى سياق النفى لتأكيد العموم .

قال تعالى : ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ . أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ . أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾

[الأعراف : ٩٧ ـ ٩٩]

فالآيتان ـ الأولى والثانية ـ تتجانسان معنويا مع الآية التالية . . . فالبأس المذكور فى الآيتين بمعنى المكر المذكور فى الآية التالية ، وكلاهما بمعنى العقوبة والنقمة .

وفى الأسلوب مزيد من التقريع والتوبيخ عن طريق إضافة البأس للضمير وتكراره لاستيعاب حالات الغفلة من النوم والانشغال ، ثم إسناد المكر للفظ الجلالة ﴿ اللَّه ﴾ وتكراره لفظا دون الضمير .

قال تعالى : ﴿ وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ . قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِين . رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴾ [الأعراف : ١٢٠ ـ ١٢٢] .

﴿ آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِين ﴾ ـ ﴿ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴾ بينهما جناس معنوى ، وهى مستأنفة جواب سؤال مقدر ، كأنه قيل : فما قالوا عند سجودهم ، أو فى سجودهم ؟ وإنما قالوا هذه المقالة ، وصرحوا بأنهم آمنوا برب العالمين ، ثم لم يكتفوا بذلك حتى قالوا : ﴿ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴾ لئلا يتوهم متوهم من قوم

فرعون المقربين بإلهيته ، أن السجود له [١] .

وفى قوله تعالى : ﴿ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴾ بعد قوله : ﴿ بِرَبِّ الْعَالَمِين ﴾ ذكر الخاص بعد العام للتشريف والتعظيم .

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيم . وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِين ﴾ [الأعراف : ١٤١ ، ١٤٢] .

قوله تعالى : ﴿ سُوءَ الْعَذَاب ﴾ يتجانس معنويا مع : ﴿ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُم ﴾ وقد مرّ مشابه لهذه الآية فى سورة البقرة الآية (٤٩) .

وفى قوله تعالى : ﴿ وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ ﴾ جناس معنوى مع قوله تعالى : ﴿ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَة ﴾ .

والفائدة فى : ﴿ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَة ﴾ مع العلم بأن الثلاثين والعشر أربعون؛ لئلا يتوهم أن المراد أتممنا الثلاثين بعشر منها، فبين أن العشر غير الثلاثين. و﴿ أَرْبَعِينَ لَيْلَة ﴾ منصوب على الحال ، أى فتم حال كونه بالغا أربعين ليلة [٢] .

وقد اختلف المفسرون فى هذه العشر ، ما هى ؟ فالأكثرون على أن الثلاثين هى : (ذو القعدة) وعشر من ذى الحجة ، روى عن ابن عباس وغيره ، فعلى هذا يكون قد كمل الميقات يوم النحر ، وحصل فيه التكليم لموسى عليه السلام ، واستخلف على بنى إسرائيل أخاه (هارون) ووصاه بالإصلاح وعدم الإفساد ، وهذا تنبيه وتذكير وإلا فهارون عليه السلام نبى شريف كريم على الله [٣] .

* * *

(١) فتح القدير ، جـ٢ ، ص٣٣٠ .

(٢) فتح القدير ، جـ٢ ، ص٣٤٤ .

(٣) مختصر ابن كثير ، جـ٢ ، ص٤٨ .

سورة الأنفال :

قال تعالى : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ [الأنفال : ٩] .

فالاستجابة هى المدد بالملائكة . فالتقدير : إذ تستغيثون ربكم فأمدكم بألف من الملائكة مردفين . أى فوجا بعد فوج . ردفنى وأردفنى : جاء بعدى [1] وفى قوله تعالى : ﴿ فَاسْتَجَابَ ﴾ حسن التفات وإثارة ذهنية ، حيث لم يقل : (فأغاثكم) على نسق : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ ﴾ ، والكلمة ﴿ فَاسْتَجَابَ ﴾ مع الفاء تفيد التعقيب والسرعة .

* * *

سورة التوبة :

قال تعالى : ﴿ وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [التوبة : ٣] .

فالجناس المعنوى بين : ﴿ وَإِن تَوَلَّيْتُم ﴾ وبين : ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ ، فالتولى هنا الإعراض عن الحق والبقاء على الشرك والكفر .. فالتقدير : وإن كفرتم فاعلموا أنكم غير معجزى الله ، وبشر الذين كفروا بعذاب أليم .. أو التقدير : وإن توليتم فاعلموا أنكم غير معجزى الله ، وبشر الذين تولوا بعذاب أليم .

وقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ بعد قوله : ﴿ تَوَلَّيْتُم ﴾ التفات من الخطاب إلى الغيبة ، يعمل على إثارة الذهن ولفت الانتباه ، وفى استخدام البشارة ﴿وَبَشِّرِ﴾ فى مقام العذاب تهكم ووعيد .

---

(١) معجم غريب القرآن ص٦٩ .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيراً مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ . يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾

[التوبة : ٣٤ ، ٣٥]

فتجانس معنويا قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ ﴾ مع قوله : ﴿ وَلا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ ، فكنز المال : عدم إنفاقه فى سبيل الله ، وقال ابن عمر عن الكنز : هو المال الذى لا تؤدى زكاته ، وقال عمر بن الخطاب : أيما مال أديت زكاته فليس بكنز وإن كان مدفونا فى الأرض ، وأيما مال لم تؤد زكاته فهو كنز يكوى به صاحبه وإن كان على وجه الأرض .

وروى البخارى عن خالد بن أسلم ، قال : خرجنا مع عبد الله بن عمر ، فقال : هذا قبل أن تنزل الزكاة ، فلما نزلت جعلها الله طهرة للأموال . وكذا قال عمر بن عبد العزيز وعراك بن مالك ، نسخها قوله تعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً ﴾ [التوبة : ١٠٣] الآية [١] .

وقد تجانس معنويا ـ أيضا ـ قوله تعالى : ﴿ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ مع قوله : ﴿ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ... ﴾ .

وقال : ﴿ يَوْمَ يُحْمَىٰ ﴾ ولم يقل : تحمى ؛ لأن معناه أن النار تحمى عليها ، أى توقد ذات حمى وحرّ شديد ، من قوله : ﴿ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴾ [القارعة : ١١] ، ولو قيل : يوم تحمى ، لم يعط هذا المعنى . فإن قلت : فإذا كان الإحماء للنار ، فلم ذكر الفعل ؟ قلت : لأنه مسند إلى الجار والمجرور ، أصله : يوم تحمى النار عليها .

فإن قلت : لم خصت هذه الأعضاء ؟ أى : الجباه والجنوب والظهور ـ

(١) مختصر ابن كثير ، جـ٢ ، ص١٣٩ .

قلت: لأنهم لم يطلبوا بأموالهم ـ حيث ينفقونها فى سبيل الله ـ إلا الأغراض الدنيوية من وجاهة عند الناس ، وتقدم ، ومن أكل طيبات يتضلعون منها وينفخون جنوبهم ، ومن لبس ناعمة من الثياب يطرحونها على ظهورهم . وقيل: لأنهم كانوا إذا أبصروا الفقير عبسوا ، وإذا ضمهم وإياه مجلس زوروا عنه وتولوا عنه وتولوا بأركانهم وولوه ظهورهم (١) .

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِّيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ [التوبة : ٣٧] .

فقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ ﴾ يتجانس معنويا مع قوله : ﴿يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا ﴾ . فكلاهما بمعنى . وفيه زيادة إيضاح وتوكيد وإثارة ذهنية للانتباه لقبح هذا الضلال .

والنسيء : تأخير بعض الأشهر الحرم إلى غيرها ، وكانت العرب لا تقاتل فى الأشهر الحرم ، فإذا لاح لهم أمر ، غيروا وبدلوا ، فجعلوا ـ مثلا ـ شهر رجب فى عامهم شهرا حلالا فى القتال ، واعتبروا شعبان شهرا حراما .

قال تعالى :﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾ [التوبة : ٦٥] .

فقوله تعالى حكاية عن قول الكافرين : ﴿ نَخُوضُ وَنَلْعَب ﴾ يتجانس معنويا مع قوله : ﴿ تَسْتَهْزِءُون ﴾ فكلاهما بمعنى .

* * *

سورة يونس :

قال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الأَرْضِ لافْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ

---

(١) الكشاف ، جـ٢ ، ص٢٦٨ .

لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لا يُظْلَمُون ﴾ [يونس : ٥٤] .

فتجانس معنويا قوله : ﴿ بِالْقِسْطِ ﴾ مع قوله : ﴿ لا يُظْلَمُون ﴾ . والسياق يحمل فى طياته مشهدا قصيرا ، « ولكن ترسم فيه صورة كامدة حزينة ، تتم فى داخل النفس ، وتلقى ظلها على الوجوه : ﴿ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ ﴾ التعبير القصير يرسم صورة لمن يواجه العذاب على حين غرة ، فيسقط فى يده ، ويدرك ألا مفر ولا جدوى من المقاومة ، فيستشعر فى نفسه الندم ، ويسر فى ضميره ما يستشعر ، ثم يقف التعبير هنا فلا يزيد سمة أخرى ، تاركا للخيال تصور الظلال التى تبدو فى الوجوه » [1] .

قال تعالى : ﴿ أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ . الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ [يونس : ٦٢ ، ٦٣] .

فالجناس المعنوى بين قوله : ﴿ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ ﴾ وبين قوله : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ فأولياء الله هم المؤمنون المتقون .

قال تعالى : ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس : ٩٩] .

فتجانس معنويا قوله تعالى : ﴿ مَن فِي الأَرْضِ ﴾ مع قوله : ﴿ كُلُّهُمْ ﴾ وتجانس القولان مع قوله سبحانه : ﴿ جَمِيعًا ﴾ . قال الأخفش : جاء بقوله : ﴿ جَمِيعًا ﴾ بعد ﴿ كُلُّهُمْ ﴾ للتأكيد ، كقوله : ﴿ وَقَالَ اللَّهُ لا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ ﴾ [2] [النحل : ٥١]

* * *

(١) مشاهد القيامة فى القرآن ص١٤٦ .

(٢) انظر : فتح القدير ، جـ٢ ، ص٦٦٢ .

سورة هود :

قال تعالى : ﴿ أَلا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ [هود : ٥] .

فقوله تعالى : ﴿ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُون ﴾ يتجانس معنويا مع قوله : ﴿ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ ، وهى تعليل لما قبلها وتقرير . وقوله : ﴿ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ هى الضمائر التى تشتمل عليها الصدور [1] . وجملة : ﴿ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ بمثابة إجابة عن سؤال سائل : لماذا يعلم ما يسرون وما يعلنون ؟ فكان الجواب : إنه عليم بذات الصدور . وترى لذلك الضمير مع (إن) « من الحسن واللطف ما لا تراه إذا هى لم تدخل عليه ، بل تراه لا يصلح حيث يصلح إلا بها » [2] .

قال تعالى : ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ وَلا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ . وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ [هود : ٨٤ ، ٨٥] .

فقد تجانس معنويا قوله تعالى : ﴿ وَلا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ ﴾ مع قوله تعالى : ﴿ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ﴾ .

وكل ما فى آداب القرآن الكريم من الأمر والنهى ، فإنما يراد به ضبط الصلة بين عالم العقل وعالم المادة على وجه بيِّن ؛ ولولا ذلك ما كانت هذه الآداب زمنية تحيى روح الزمن كله ، بل لكانت من غير هذا العالم ، فلا يستقيم لها بشىء ولا تستقيم هى لشىء ثم لا تكون فى الناس إلا عنتا وإرهاقا لا يتهيأ معها

(١) فتح القدير ، جـ٢ ، ص٦٧٢ .
(٢) دلائل الإعجاز ص٢٠٧ .

صَرْفٌ ولا عَدْلٌ (١) .

قال تعالى : ﴿ فَلا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَؤُلاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُم مِّن قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴾ [هود : ١٠٩] .

قوله تعالى : ﴿ مِّمَّا يَعْبُدُ هَؤُلاءِ ﴾ يتجانس معنويا مع قوله تعالى : ﴿ مَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُم مِّن قَبْلُ ﴾ . وكلاهما يفضى إلى معنى واحد وهو أنهم جميعا فى الكفر سواء ، فقد اتفق اللاحق مع السابق فى الضلال والشرك وعبادة غير الله تعالى .

* * *

سورة الرعد :

قال تعالى : ﴿ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ الأَغْلالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الرعد:٥] .

فتجانس قوله : ﴿ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ ﴾ مع قوله : ﴿ أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ .

وهذه الجملة فى محل رفع على البدلية من ﴿ قَوْلُهُمْ ﴾ ، ويجوز أن تكون فى محل نصب على أنها مقول القول ، والاستفهام منهم للإنكار المفيد لكمال الاستبعاد ، وتقديم الظرف فى قوله : ﴿ لَفِي خَلْقٍ ﴾ لتأكيد الإنكار بالبعث ، وكذلك تكرير الهمزة فى قوله : ﴿ أَئِنَّا ﴾ ، وفى توسيط ضمير الفعل دلالة على تخصيص الخلود بمنكرى البعث (٢) .

قال تعالى : ﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا

---

(١) مصطفى صادق الرافعى ـ إعجاز القرآن والبلاغة النبوية . ص١٢١ .

(٢) فتح القدير ، جـ٣ ، ص٩٢ ، ٩٣ .

يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ . الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ . وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ . وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ . جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ . سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ [الرعد : ١٩ ـ ٢٤].

فجانس بين : ﴿ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾ وبين الآيات التى تحمل صفاتهم وأحوالهم ﴿الَّذِينَ يُوفُونَ﴾ ـ ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ.. ﴾ ـ ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ﴾ قيل : ﴿الَّذِينَ﴾ مستأنف ، لأن ﴿صَبَرُوا ﴾ ماض فلا ينعطف على ﴿ يُوفُونَ﴾ . وقيل : هو من وصف من تقدّم ، ويجوز الوصف تارة بلفظ الماضى، وتارة بلفظ المستقبل، لأن المعنى من يفعل كذا فله كذا ، ولما كان ﴿ الَّذِينَ ﴾ يتضمن الشرط والماضى فى الشرط كالمستقبل جاز ذلك [1] .

وجانس ـ أيضا ـ بين قوله تعالى : ﴿ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ وبين : ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ ﴾ وفى هذا الإبهام ﴿ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ ثم التوضيح ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ ﴾ إثارة للتشويق وبعث للهمم والعزيمة .

* * *

سورة إبراهيم :

قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ . جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴾ [إبراهيم : ٢٨ ، ٢٩] .

فوقع الجناس المعنوى بين قوله تعالى : ﴿ دَارَ الْبَوَارِ ﴾ وبين قوله : ﴿ جَهَنَّمَ ﴾ عافانا الله . وهو أسلوب يحمل التهديد والمزيد من إدخال الروع والتهويل بذكر

(١) القرطبى ، جـ٩ ، ص٣١٠ .

المراد مرتين ، مرة بلفظ الهلاك ﴿ الْبَوَارِ﴾ وإضافته إلى لفظ ﴿دَارَ﴾ لتعنى الإقامة والاستقرار وملازمة الهلاك ، ومرة بلفظ اللهيب المستعر ﴿جَهَنَّمَ﴾ .

قال تعالى : ﴿ وَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ. مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴾ [إبراهيم: ٤٢، ٤٣]

فقوله تعالى : ﴿ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ ﴾ يتجانس معنويا مع قوله :﴿ لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ﴾ وفى ذلك كناية عن هول الموقف وشدة ذهول الظالمين وحيرتهم ، وقد دل على ذلك الرسم الخارجى لهم ، وتصويرهم وهم ينظرون بأعين مفتوحة لا تتحرك ولا تطرف .

وهذا الخطاب من الله تعالى لرسوله ـ ولأمته أيضا ـ وهم جميعا يعلمون أن الله تعالى ليس بغافل عن الظالمين ، ولكنه خطاب يفيد الوعيد للظالم ، والتعزية للمظلوم [1] .

* * *

سورة الكهف :

قال تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً . الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا . أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴾ [الكهف : ١٠٣ ـ ١٠٥] .

فقد تجانس قوله تعالى : ﴿ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً ﴾ مع قوله :﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ ومع قوله : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ ﴾ ، فالخاسرون هم الضالون وهم الكافرون ، وفى ذلك السياق ترتيب زمنى قائم على العقل والمنطق . وهو ترتيب قد بدأ من نهاية الأحداث ، إنه ترتيب قد بدأ بالنتيجة

---

(١) الطبرى ، جـ١٣ ، ص٢٣٦ .

ثم عرج إلى المقدمة . . فالكفر أدى إلى الضلال ، فكانت النتيجة الخسران . .

* * *

سورة طه :

قال تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا. فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا . لا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلا أَمْتًا ﴾ [طه : ١٠٥ ـ ١٠٧] .

فقوله تعالى : ﴿ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴾ يتجانس معنويا مع قوله : ﴿لا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلا أَمْتًا ﴾ ، وكلاهما بمعنى ، فقد سأل القوم النبى ﷺ عن شىء استعظموه واستكبروه فى واقعهم المرئى . . سألوه عن الجبال ، فجاءهم الجواب الناسف « ويتجلى المشهد الرهيب فإذا الجبال الراسية الراسخة قد نسفت نسفا ، وإذا هى قاع بعد ارتفاع . قاع صفصف خال من كل نتوء ومن كل اعوجاج ، فلقد سويت الأرض فلا علو فيها ولا انخفاض » [١] .

قال تعالى : ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لاَّ يَبْلَىٰ . فَأَكَلا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾ [طه : ١٢٠ ، ١٢١] .

فجانس بين قوله تعالى : ﴿ فَوَسْوَسَ ﴾ وبين قوله : ﴿ قَالَ﴾ وفيه إطناب بذكر الإيضاح بعد الإبهام ، وفيه إثارة ذهنية ولفت للانتباه إلى المحاولات الشيطانية الخبيثة المزينة، وقد ظهر ذلك جليا فى الجناس المعنوى الثانى بين قوله تعالى : ﴿الْخُلْدِ ﴾ وقوله : ﴿لاَّ يَبْلَىٰ﴾ . .

وثمة جناس ثالث بين قوله تعالى : ﴿ فَأَكَلا مِنْهَا ﴾ وبين قوله : ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ ﴾ ، فكان العصيان متمثل فى الأكل من الشجرة ، وقد نهاه الله عنها .

* * *

(١) الظلال ، جـ٤ ، ص٢٣٥٢ .

سورة الأنبياء :

قال تعالى : ﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُون . مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلاَّ اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُون . لاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾ [الانبياء : ١ ـ ٣] .

فوقع الجناس معنويا بين قوله تعالى : ﴿ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُون ﴾ وبين ﴿وَهُمْ يَلْعَبُون ﴾ وبين : ﴿ لاهِيَةً قُلُوبُهُم ﴾ . . فهم غافلون معرضون ولاعبون لاهون ، وكلها معان تعبر عن حالة واحدة هى الكفر بالله تعالى وهو تفصيل يبين حقارتهم وشدة ضلالهم ، وفى السياق تصوير لحالة قلوبهم التى ماتت من أثر اللهو والغفلة، وفيه ـ أيضا ـ تصوير حركى لسلوكهم ساعة سماعهم للذكر . و ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ بدل من الواو فى ﴿ أَسَرُّوا ﴾ وهو عائد على الناس المتقدم ذكرهم ، ولا يوقف على هذا القول على ﴿النَّجْوَى ﴾ وقيل : هو رفع على الذم ، أى هم الذين ظلموا ، وقيل : على حذف القول ، التقدير : يقول الذين ظلموا وحذف القول، مثل: ﴿ وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ . سَلامٌ عَلَيْكُم ﴾ [الرعد:٢٣، ٢٤] واختار هذا القول النحاس » [١] .

قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ . لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لاَّتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَاعِلِين ﴾ [الانبياء : ١٦ ، ١٧] .

فقد تجانست الآيتان معنويا ، وجملة : ﴿ لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا ﴾ مستأنفة لتقرير مضمون ما قبلها ، وجواب لقوله : ﴿ لاَّتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا ﴾ . أى من عندنا ومن جهة قدرتنا لا من عندكم [٢] .

---

(١) القرطبى ، جـ١١ ، ص٢٦٨ ، ٢٦٩ .
(٢) فتح القدير ، جـ٣ ، ص٥٤٩ .

قال تعالى : ﴿ وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلاَّ هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ ﴾ [الأنبياء : ٣٦] .

فجملة: ﴿إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلاَّ هُزُوًا﴾ تتجانس معنويا مع ما بعدها ، والاستفهام الصادر من الكافرين غرضه البلاغى الاستهزاء والتهكم ، وجملة ﴿ وَهُم بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ ﴾ « فى موضع الحال ، أى يتخذونك هزوا ، وهم على حال هى أصل الهزء والسخرية وهى الكفر بالله » (١).

* * *

سورة الحج :

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾ [الحج ٧٧ ، ٧٨] .

فقد تجانس معنويا قوله تعالى : ﴿ ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا ﴾ مع قوله : ﴿وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ ﴾ ، وفيه إطناب بذكر العام بعد الخاص ، وخص الركوع والسجود بالذكر على سبيل المجاز المرسل وهما أدل فى الخضوع لله تعالى ، وأتم فى التسليم له ، وفى تخصيص الصلاة بالذكر عن طريق هذه الأركان ـ دون سائر العبادات تشريف وتعظيم لهذه الفريضة ، وفيه تنبيه على مكانتها الرفيعة .

وقوله تعالى: ﴿ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ ﴾ يتجانس معنويا ـ أيضا ـ مع الجمل السابقة، وقوله : ﴿ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ يتجانس مع قوله : ﴿وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ ﴾ .

* * *

---

(١) الكشاف ، جـ٣ ، ص١١٧ .

سورة القصص :

قال تعالى : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ . قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾

[القصص : ٧١ ، ٧٢]

فجانس بين قوله : ﴿ بِضِيَاءٍ ﴾ وقوله : ﴿ النَّهَارَ ﴾ ، وفيه حسن التفات ، فقد « ذكر الضياء وهو ضوء الشمس ؛ لأن المنافع التى تتعلق به متكاثرة ، ليس التصرف فى المعاش وحده ، والظلام ليس بتلك المنزلة ، ومن ثمة قرن بالضياء ﴿ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴾ لأن السمع يدرك ما لا يدركه البصر من ذكر منافعه ووصف فوائده ، وقرن بالليل ﴿ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ لأن غيرك يبصر من منفعة الظلام ما تبصره وأنت من السكون [١] .

* * *

سورة الصافات :

قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾

[الصافات : ١٠٢]

﴿ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ﴾ كلاهما بمعنى، والتقدير: قل رأيك . . أعطنى مشورتك .

ومن تمام الابتلاء ، أن جاء الأمر بالذبح وإسماعيل فى ريعان الشباب .

قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ ﴾ أى كان فتيا قويا ، بلغ مبلغ الرجال .

ومن ائتلاف اللفظ مع اللفظ، أن نادى إبراهيم عليه السلام ولده بخطاب التحنن والتودد : ﴿ يَا بُنَيِّ ﴾ ، فرده الابن فى تحنن وتودد ـ أيضا ـ ﴿ يَا أَبَتِ ﴾ .

---

(١) الكشاف ، جـ٣ ، ص٤٢٩ .

قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ . إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلا تَتَّقُون . أَتَدْعُونَ بَعْلاً وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ . اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ ﴾

[الصافات : ١٢٣ ـ ١٢٦]

فقوله تعالى : ﴿ أَحْسَنَ الْخَالِقِين ﴾ يتجانس معنويا مع قوله : ﴿ اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ ﴾ ، و « بعل » اسم صنم لهم كانوا يعبدونه ، وبذلك سميت مدينتهم بعلبك [1] .

قال تعالى : ﴿ أَلا إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ . وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ . أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ . مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُون . أَفَلا تَذَكَّرُونَ . أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ . فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِين ﴾ [الصافات : ١٥١ ـ ١٥٧] .

﴿ مِّنْ إِفْكِهِمْ ﴾ ـ ﴿ لَيَقُولُونَ وَلَدَ اللَّه ﴾ ـ ﴿ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُون ﴾ وكلها تحكم عليهم بالكذب والافتراء ، وهذا الإطناب يفيد تقريعهم وتوبيخهم ، ثم أكد ذلك بالاستفهام الإنكارى التوبيخى : ﴿ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِين ﴾ ـ ﴿ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُون ﴾ ـ ﴿ أَفَلا تَذَكَّرُونَ ﴾ .

وقد جاء جناس معنوى آخر بين قوله تعالى : ﴿ أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِين ﴾ وبين قوله : ﴿ فَأْتُوا بِكِتَابِكُم ﴾ ، أى هل لكم حجة وبرهان على هذا الافتراء ؟! فأتوا بكتابكم الذى يحمل هذه الحجة وذلك البرهان ، وهو أمر للتعجيز والتوبيخ .

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِين . إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ . وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُون ﴾ [الصافات : ١٧١ ـ ١٧٣] .

فجانس معنويا بين قوله تعالى : ﴿ لَهُمُ الْمَنصُورُون ﴾ وبين قوله : ﴿ لَهُمُ الْغَالِبُون ﴾ وفى ذلك تأكيد مسوق فى تأكيد آخر بـ ﴿ إِن ﴾ و (اللام) ، وفى

---

(١) القرطبى ، جـ٥ ، ص١١٦ .

إسناد الجند إلى الله تعالى ﴿ جُندَنَا ﴾ تشريف وتكريم ، وفيه إشارة إلى أن النصر يأتى بالتمسك بأوامر الله والبعد عن نواهيه .

* * *

سورة الزمر :

قال تعالى : ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَّجُلاً فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر : ٢٩] .

﴿ مَثَلاً ـ رَّجُلا ﴾ جناس معنوى ، فالرجل بيان لهذا المثل ، وهو مثل ضرب فى غاية الحسن لتقبيح الشرك ، وتحسين التوحيد (١) .

قال تعالى : ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ . وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾

[الزمر: ٣٢ ، ٣٣]

فقوله تعالى : ﴿ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ ﴾ يتجانس معنويا مع قوله تعالى : ﴿ لِّلْكَافِرِينَ ﴾ وقد جاء ذلك فى سياق النفى والإنكار المستفاد من الاستفهام فى صدر الآية الكريمة ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ.. ﴾ ، ثم كانت الإجابة التقريرية عن طريق الاستفهام ﴿ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ ﴾ أى النبى ﷺ ، ﴿ وَصَدَّقَ بِهِ ﴾ أى: المسلمون (٢) ، يتجانس معنويا مع قوله : ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ .

قال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ [الزمر : ٦٠] .

---

(١) الفخر الرازى ـ التفسير الكبير ، جـ ٢٦ ، ص٢٧٧ .

(٢) مختصر ابن كثير ، جـ٣ ، ص٢٢٠ .

فجانس بين قوله : ﴿ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ ﴾ وبين قوله : ﴿ لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ وفيه تصوير حسى الرؤية البصرية ﴿ تَرَى ﴾ لمشهد هؤلاء المتكبرين وهم يقفون والسواد يعلو وجوههم ، وفى استهلال الآية بقوله : ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ فيه مزيد من التهويل ورسم لطبيعة الموقف المؤلم .

قال تعالى : ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ . وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ . بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ . وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر : ٦٤ - ٦٧] .

فقوله تعالى : ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُد ﴾ يتجانس معنويا مع قوله : ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ ﴾ وقد جاء ذلك فى سياق الاستفهام الإنكارى التعجبى ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ ﴾ وفيه إثارة ذهنية لاختصاص الله وحده بالعبادة ، وذلك عن طريق تقديم ﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ ﴾ ، والتقدير : قل : أتأمرونى أن أعبد غير الله أيها الجاهلون ؟!

فإن قلت : « الموحى إليهم جماعة ، فكيف قال : ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ ﴾ على التوحيد ؟ قلت معناه : أوحى إليك لئن أشركت ليحبطن عملك ، وإلى الذين من قبلك مثله ، أو : أوحى إليك وإلى كل واحد منهم .. فإن قلت : ما الفرق بين اللامين ؟ قلت : الأولى موطئة للقسم المحذوف ، والثانية لام الجواب ، وهذا الجواب سدّ مسدّ الجوابين ، أعنى جواب القسم والشرط .. فإن قلت : كيف صح هذا الكلام مع علم الله تعالى أن رسله لا يشركون ولا تحبط أعمالهم ؟ قلت : هو على سبيل الفرض ، والمحالات يصح فرضها لأغراض »[1] .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ يتجانس معنويا مع قوله : ﴿يُشْرِكُونَ ﴾ أى : ما عظموه حق تعظيمه ، إذ أشركوا معه غيره ، وساووا بينه

---

(١) الكشاف ، جـ٤ ، ص١٤١ .

وبين الحجر والخشب فى العبادة [١] .

قال تعالى : ﴿ وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لا يُظْلَمُون . وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُون ﴾ [الزمر : ٦٩ ، ٧٠].

فقوله تعالى : ﴿ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ ﴾ يتجانس معنويا مع قوله : ﴿ وَهُمْ لا يُظْلَمُون ﴾ ويتجانس ـ أيضا ـ مع قوله : ﴿ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ ﴾ ، وفى ذلك مبالغة فى إظهار الحق يوم القيامة ، وبيان عدل الله المطلق.

* * *

سورة غافر :

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الإِيمَانِ فَتَكْفُرُون ﴾ [غافر : ١٠] .

فجانس بين قوله : ﴿ يُنَادَوْن ﴾ وقوله : ﴿ تُدْعَوْن ﴾ ، فهما بمعنى النداء ، فكان ينادى عليهم لكى يؤمنوا بالله وحده ، ولكنهم أعرضوا ، فينادى عليهم يوم القيامة لمقت الله وبغضه ، ومد الألف فى (ينادون) يوحى ببعد مكانهم يوم القيامة ، فهم ينادون من مكان بعيد للدلالة على حقارتهم ومهانتهم ، وهم الذين كانوا يدعون للإيمان عن قرب وتودد من الرسل ، ولكنهم يعرضون ويكفرون .

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُم بِهِ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولاً كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَاب ﴾ [غافر : ٣٤] .

فجانس بين قوله : ﴿ فِي شَك ﴾ وقوله : ﴿ مُّرْتَاب ﴾ . وقوله تعالى حكاية

(١) البحر المحيط ، جـ٧ ، ص٤٣٩ .

عن الكافرين : ﴿ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولاً ﴾ لا يعنى أنهم آمنوا بالله ورسالة يوسف عليه السلام ، ولكن المعنى أنه «لا رسول من عند الله فيبعثه إلى الخلق، ففيه نفى الرسول ونفى بعثته » [1] .

قال تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلا يُجْزَىٰ إِلاَّ مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ . وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ . تَدْعُونَنِي لأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ ﴾ [غافر : ٤٠ - ٤٢] .

فقوله تعالى : ﴿ الْجَنَّةَ ﴾ يتجانس معنويا مع قوله : ﴿ النَّجَاةِ ﴾ ، وبين : ﴿ النَّجَاةِ ﴾ و﴿ النَّارِ ﴾ طباق معنوى يعمل على إيقاظ الذهن وإثارة الانتباه ، وهو وارد فى سياق الاستفهام التعجبى ، أى : كيف أدعوكم إلى النجاة وتدعوننى إلى النار ؟!

وقوله تعالى : ﴿ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ﴾ يتجانس معنويا مع قوله : ﴿ تَدْعُونَنِي لأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ ﴾ فالدعوة إلى الكفر والشرك هى فى الحقيقة دعوة إلى النار ، وما الفرق بين الدعوة إلى الشرك والدعوة إلى النار ؟ إنها قريب من قريب [2] وقوله تعالى : ﴿ أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ ﴾ يتجانس معنويا مع قوله : ﴿ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ ﴾ فالدعوة إلى الله هى فى الحقيقة دعوة إلى النجاة .

وفى الآية الأخيرة مع السابقة لها ، لف ونشر على عكس الترتيب ، يعمل على الإثارة الذهنية ولفت الانتباه ، ففى الآية قبل الأخيرة ذُكرت العودة إلى النجاة أولا ثم الدعوة إلى النار ، وفى الآية الأخيرة بدأت بتفسير الدعوة إلى النار بذكر الدعوة إلى الكفر والشرك ، وفى ذلك - أيضا - تشابه أطراف .

(١) البحر المحيط ، جـ٧ ، ص٤٦٤ .
(٢) الظلال ، جـ٥ ، ص٣٠٨٣ .

فإن قلت: لم كرر نداء قومه؟ ولم جاء بالواو فى النداء الثالث دون الثانى ؟
قلت : أما تكرير النداء ففيه زيادة تنبيه لهم وإيقاظ عن سنة الغفلة ، وفيه أنهم وقومه وعشيرته وهم فيما يوبقهم ، وهو يعلم وجه خلاصهم ، ونصيحتهم عليه واجبة ، فهو يتحزن لهم ويتلطف بهم ، وأما المجيء بالواو العاطفة ؛ فلأن الثانى داخل على كلام هو بيان للمجمل وتفسير له ، فأعطى الداخل عليه حكمه فى امتناع دخول الواو ، وأما الثالث فداخل على كلام ليس بتلك المثابة (١) .

قال تعالى : ﴿ فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ . النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ [غافر: ٤٥، ٤٦]

فقوله تعالى :﴿ سُوءُ الْعَذَابِ ﴾ يتجانس معنويا مع قوله : ﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴾ وفى هذا تفصيل بعد إجمال، فيه مزيد من التهويل والعذاب. عرض على النار فى الصباح وفى المساء ، إما للتعذيب برؤيتها وتوقع لذعها وحرها - وهو عذاب شديد - وإما لمزاولتها فعلا . فكثيرا ما يستعمل لفظ العرض للمس والمزاولة ، وهذه أدهى . . ثم إذا كان يوم القيامة أدخلوا أشد العذاب(٢).

* * *

سورة فصلت :

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ حم . تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ . كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ . بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ . وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ . قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ . الَّذِينَ لَا

(١) الكشاف ، جـ٤ ، ص١٦٨ ، ١٦٩ .
(٢) الظلال ، جـ٥ ، ص٣٠٨٤ .

﴿ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴾ [فصلت : ١ - ٧] .

فقد تجانس معنويا قوله تعالى: ﴿ تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ مع قوله تعالى: ﴿ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ﴾ مع قوله تعالى: ﴿ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾. فكلها تدل على القرآن الكريم المنزّل من الرحمن الرحيم والمفصل من لدن حكيم حميد فبيّن شرائعه ومنهاجه .

وفى تنكير ﴿ تَنزِيلٌ ﴾ و ﴿ كِتَابٌ ﴾ إشارة إلى تعظيم القرآن الكريم وتشريف مكانته ، وقد زاد من ذلك قوله : ﴿ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ ﴾ يتجانس معنويا مع قوله : ﴿ فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ ﴾ ومع قوله : ﴿وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ ﴾ وهى بمعنى عدم الاستجابة لله ورسوله ﷺ ، وفى هذا التفصيل بيان لأحوالهم تجاه استقبال الدعوة الإسلامية ، فكانوا أجسادا بلا حواس أو إدراك ، وفى التعبير بقوله : ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ﴾ استعارة تصريحية (١) حيث شبه الضلال والغفلة بالغطاء الكثيف على قلوبهم ، والثقل والصمم فى آذانهم.

وقوله تعالى : ﴿ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴾ يتجانس معنويا مع قوله : ﴿ الَّذِينَ لا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ﴾ ومع قوله : ﴿ هُمْ كَافِرُونَ ﴾ .

قال ابن عباس : يعنى الذين لا يشهدون أن لا إله إلا الله ، كقوله تبارك وتعالى : ﴿ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ ﴾ والمراد بالزكاة هنا طهارة النفس من الأخلاق الرذيلة ، ومن أهم ذلك طهارة النفس من الشرك ، وزكاة المال إنما سميت زكاة ؛ لأنها تطهره من الحرام ، وتكون سببا لزيادته وبركته وكثرة نفعه ، واستعماله فى الطاعات ، وقال قتادة : يمنعون زكاة أموالهم - أى ينكرونها ولا يؤمنون بفرضيتها - وهذا هو الظاهر عند كثير من المفسرين (٢) .

* * *

(١) صفوة التفاسير ١٢٩/٣ .

(٢) مختصر ابن كثير ، جـ٣ ، ص٢٥٦ .

سورة الزخرف :

قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الزخرف:٥٥] .

فقوله : ﴿ انتَقَمْنَا ﴾ يتجانس معنويا مع قوله : ﴿ فَأَغْرَقْنَاهُم ﴾ وهو بيان لهذا الانتقام وشدته عندما آسفوا الرحمن ، أى أغضبوه بالعصيان والتمادى فيه . وفى ذكر الانتقام أولا ، ثم تفسيره بالإغراق . مزيد من إدخال الروع والمهابة ، حتى يكون ذلك صارفا لغيرهم عن سلوك طريقهم .

* * *

سورة الدخان :

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ . مِن فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ ﴾ [الدخان : ٣٠ ، ٣١] .

فقوله تعالى : ﴿ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾ يتجانس معنويا مع قوله : ﴿ مِن فِرْعَوْنَ ﴾ فصار العذاب المهين هو عينه فرعون ، وصار فرعون عذابا مهينا فى ذاته وفكره وقيادته ، وفى وصف العذاب بالمهين بيان لشدة قبح فرعون وعمله حتى أهان قومه وأذلهم ، وفى ذلك الأسلوب ، توضيح بعد إبهام ، يبعث على التشويق لمعرفة نوع هذا العذاب المهين الذى نجى الله منه بنى إسرائيل ، وهو فى نفس الوقت إمعان ومبالغة فى ذم فرعون .

* * *

سورة الجاثية :

قال تعالى : ﴿ وَآتَيْنَاهُم بَيِّنَاتٍ مِّنَ الأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [الجاثية : ١٧] .

فقوله تعالى : ﴿ وَآتَيْنَاهُم بَيِّنَاتٍ مِّنَ الأَمْرِ ﴾ يتجانس معنويا مع قوله : ﴿جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾ أى :إن الله تعالى قد بعث إلى بنى إسرائيل الحجج والبراهين

القاطعة ، ولكنهم اختلفوا بعد مجىء هذه البراهين والحجج ، وفى هذا تأكيد على إقامة الحجة عليهم ، وبيان صلفهم وشدة إعراضهم .

* * *

سورة الحجرات :

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ ﴾ [الحجرات:٢] .

فجانس بين قوله: ﴿ لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ﴾ وقوله: ﴿وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ ﴾ وقد روى أنها نزلت فى أبى بكر وعمر ﷺ فعن ابن أبى مليكة قال : « كاد الخيران أن يهلكا : أبو بكر وعمر ﷺ ، رفعا أصواتهما عند النبى ﷺ حين قدم عليه ركب بنى تميم، فأشار أحدهما بالأقرع بن حابس أخى بنى مُجاشع، وأشار الآخر برجل آخر ـ قال نافع: لا أحفظ اسمه ـ فقال أبو بكر لعمر: ما أردت إلا خلافى، قال : ما أردتُ خلافك ، فارتفعت أصواتهما فى ذلك، فأنزل الله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُم ﴾الآية. قال ابن الزبير: فما كان عمر يُسمعُ رسول الله ﷺ بعد هذه الآية حتى يستفهمه، ولم يذكر ذلك عن أبيه. يعنى أبا بكر [(١)].

* * *

سورة الواقعة :

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ . لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ . خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ . إِذَا رُجَّتِ الأَرْضُ رَجًّا . وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا . فَكَانَتْ هَبَاءً مُّنبَثًّا ﴾ [الواقعة : ١ ـ ٦] .

فالواقعة هى الخافضة الرافعة ، وهى التى ترج الأرض رجا وتبس الجبال بسا فتصير هباء منبثا . . « وكاذبة: صفة لموصوف محذوف، أى نفس كاذبة، و﴿ خَافِضَةٌ

(١) فتح البارى ، جـ٨ ، ص٤٥٤ .

رَّافِعَةٌ ﴾ خافضة خبر لمبتدأ محذوف ، ورافعة خبر ثان »[1] وهذا الحذف يناسب السرعة الخاطفة فى المشهد ويبرز الأحداث فى صورة حسية عنيفة تأخذ باللب .

ولفظة ﴿ الْوَاقِعَةُ ﴾ بما فيها من حرف مدّ ثم حرف مكسور ومجهور (القاف) أشبه بسقوط الجسم الذى يُرفع ثم يُترك فيهوى واقعا ، فينتظر له الحس فرقعة ورجّة ، وهكذا يلبى السياق ما يتوقعه الحس ، فهى ﴿ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴾ تلك الأرجحة التى يُحدثها سقوط الأجسام الثقيلة تحدثها كذلك ﴿ الْوَاقِعَةُ ﴾ فى عالم الحس كما توقعها فى عالم المعانى ، ولأن الاهتزاز أو الرجة هى الجو العام للمشهد استمر السياق يعرض صور الارتجاج ﴿ إِذَا رُجَّتِ الأَرْضُ رَجًّا ﴾ ، ولأن ﴿ الْوَاقِعَةُ ﴾ تهبط من عل فتدك وتطحن كما ترج وتهز عرض السياق ذلك الجانب الآخر المتوقع فى الحس ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ﴾ فإذا هى فتيت مبسوس ، يتطاير فى الهواء كالهباء[2].

* * *

سورة الطلاق :

قال تعالى : ﴿ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا . رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ﴾ [الطلاق : ١٠ ، ١١] .

فقوله تعالى : ﴿ يَا أُولِي الأَلْبَابِ ﴾ يتجانس معنويا مع قوله : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ فأصحاب العقول السوية هم المؤمنون ، وما آمن إلا صاحب العقل الراجح ، ولذلك جاء التوبيخ للكافرين فى القرآن الكريم فى غير موضع بقوله تعالى : ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[النحل : ١٢] . وقوله تعالى : ﴿أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ [الصافات : ١٣٨] .

قوله تعالى : ﴿ ذِكْرًا ﴾ يتجانس معنويا مع قوله : ﴿ رَسُولاً ﴾ و﴿ رَسُولاً ﴾

(١) إعراب القرآن وبيانه ، جـ٧ ، ص٣٩٣ .

(٢) مشاهد القيامة فى القرآن ، ص١٢٦ .

بدل من ﴿ ذِكْرًا ﴾ وكأنه جعل الرسول نفس الذكر مبالغة ، وقال الزجاج : إنزال الذكر دليل على إضمار أرسل ، أى أنزل إليكم قرآنا ، وأرسل إليكم رسولا ، وقال أبو على الفارسى : إن رسولا منصوب بالمصدر ، وهو ﴿ ذِكْرًا ﴾ لأن المصدر المنوّن يعمل . والمعنى: أنزل إليكم ذكر الرسول [١] ـ والأول أولى وأقرب ـ والظاهر أن الذكر هو القرآن وأن الرسول هو النبى محمد ﷺ [٢] .

ومن البلاغة القرآنية فى السياق قوله تعالى : ﴿ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ﴾ فالتعبير بلفظ ﴿ أَعَدَّ ﴾ بما فيه من إعداد وعناية ، يبعث على الروع والمهابة ، وقد زاد من ذلك : تنكير كلمة ﴿ عَذَابًا ﴾ للتهويل ثم وصفها بـ ﴿ شَدِيدًا ﴾ .

ومن جميل التعبير أن تأتى كلمة ﴿ الأَلْبَابِ ﴾ وسطا بين التقوى والإيمان فى قوله تعالى : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ لبيان فضل العقل الراجح فى استيعاب التقوى والإيمان .

ثم تأتى جملة ﴿ قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا . رَسُولاً ﴾ بمثابة تعليل للجملة السابقة وإقامة الحجة .

وقد ذهب السياق القرآنى بالنفس كل مذهب عندما صور الضلال والكفر بالظلمات الحالكة المجتمعة ، وصور الإيمان بالنور الساطع ، وذلك على سبيل الاستعارة التصريحية فى قوله تعالى : ﴿ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ .

* * *

سورة التحريم :

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم:٦].

---

(١) فتح القدير ، جـ٥ ، ص٣٢٧ ، ٣٢٨ .

(٢) البحر المحيط ، جـ٨ ، ص٢٨٦ .

فقوله تعالى : ﴿ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ ﴾ يتجانس معنويا مع قوله : ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ فكلاهما بمعنى ، وفيه مبالغة وزيادة تأكيد على السمع والطاعة وتنفيذ الأوامر فى سرعة ودقة .

وهذا التجانس المعنوى قد أكمل المشهد المنظور لصورة الزبانية ـ عافانا الله ـ فيبرزون فى غلظة غليظة ، وشدة شديدة ، وفى الجمع بين هاتين الصفتين بيان لهول الموقف ، ورسم لصورة الملائكة فى غلظة قلبية وشدة جسمانية ، « حُبِّب إليهم عذاب الخلق كما حُبِب لبنى آدم أكل الطعام والشراب » [1] .

* * *

سورة الجن :

قال تعالى : ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا . وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ [الجن : ٤ ، ٥] .

فتجانس معنويا قوله تعالى : ﴿ شَطَطًا ﴾ وهو مجاوزة الحد فى الكذب مع قوله : ﴿ كَذِبًا﴾ ، وقد تجانست الكلمتان مع (القول) فى : ﴿ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ﴾ ، وفى ﴿ .. تَقُولَ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ ، ويجتمع الشطط مع الكذب ليبرزا قبح الافتراء على الله .

و﴿ كَذِبًا ﴾ قولا كذبا ، أى مكذوبا فيه . أو نصب نصب المصدر؛ لأن الكذب نوع من القول [2] .

* * *

(١) القرطبى ، جـ١٨ ، ص١٩٦ .
(٢) الكشاف ، جـ٤ ، ص٦٢٣ .

سورة المطففين :

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ . الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُون . وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُون . أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ . لِيَوْمٍ عَظِيمٍ . يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [المطففين : ١ ـ ٦]

فقوله تعالى : ﴿ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴾ يتجانس معنويا مع قوله : ﴿ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُون . وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُون ﴾ فهى صفاتهم الدالة عليهم ، وبدأ بـ ﴿وَيْل ﴾ النكرة لأنها دعاء وإعلان الويل والهلاك عليهم .

قال الزجاج : إنما قيل للذى ينقص المكيال والميزان : مطفف ؛ لأنه لا يكاد يسرق فى المكيال والميزان إلا الشىء اليسير الطفيف ، وقال الواحدى : قال المفسرون : يعنى : الذين إذا اشتروا لأنفسهم استوفوا فى الكيل والوزن ، وإذا باعوا ووزنوا لغيرهم نقصوا [١] .

وقوله تعالى: ﴿ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ يتجانس معنويا مع قوله: ﴿ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾وإفراده بالذكر أولا ثم تنكيره ووصفه فيه مزيد من التهويل وإيقاظ القلوب .

قال تعالى: ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِين.الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّين﴾[المطففين: ١٠، ١١]

فقوله تعالى: ﴿ لِّلْمُكَذِّبِين ﴾ يتجانس معنويا مع قوله : ﴿ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّين ﴾ وقد بدأت السورة بإعلان الويل للمطففين ، وهى تعلن الويل لهؤلاء الذين يكذبون بيوم الدين ؛ ليشترك الاثنان فى هذا الوعيد وكأنهما مرتبطان ببعضهما ، فكلاهما يؤدى إلى الآخر .

* * *

(١) فتح القدير ، جـ٥ ، ص٥٢٩ ، ٥٣٠ .

سورة الفجر :

قال تعالى: ﴿ وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَادِ . الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلادِ . فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادِ﴾
[الفجر : ١٠ ـ ١٢]

فقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلادِ ﴾ يتجانس معنويا مع قوله : ﴿ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَاد ﴾ ففسر الطغيان بإكثار الفساد فى الأرض ، وفى هذا إمعان فى تقبيح صورتهم وبيان شرهم .

والمعنى : فرعون الطاغية الجبار ، ذى الأوتاد ، أى ذى الجنود والجموع والجيوش التى تشد ، وقد وصف بذلك لكثرة جنوده وخيامهم التى يضربونها فى منازلهم أو لتعذيبه بالأوتاد . ﴿ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلادِ ﴾ أى : جاوزوا الحد فى الظلم والطغيان . ﴿فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَاد ﴾ أى : فأكثروا فى البلاد الظلم والجور بالقتل ، وسائر المعاصى والآثام (١) .

* * *

سورة الكافرون :

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ . لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ . وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾
[الكافرون : ١ ـ ٣]

فقوله تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُون ﴾ يتجانس معنويا مع قوله : ﴿ وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُد ﴾ فإن التقدير : يا أيها المكذبون أنتم المكذبون (٢) وفيه تبكيت وتحقير لهم .

* * *

---

(١) صفوة التفاسير ، جـ٣١ ، ص٥٥٧ .
(٢) د. عبد القادر حسين ـ فن البديع ، ص١٢١ .

سورة الإخلاص :

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ . اللَّهُ الصَّمَدُ . لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَد . وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ .

فقوله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد ﴾ يتجانس معنويا مع قوله : ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَد ﴾ وتتجانس الآيتان مع قوله تعالى : ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَد ﴾ ، فكلها مقررة للتوحيد ومؤكدة له ، ونافية لأدنى شبهات الشرك .

و ﴿ أَحَد ﴾ يفيد العموم دون واحد. ومما يفيد الفرق بينهما ما قاله الأزهرى: أنه لا يوصف بالأحدية غير الله تعالى ، لا يقال : رجل أحد ، ولا درهم أحد . كما يقال : رجل واحد ، ودرهم واحد . قيل : والواحد يدخل فى الأحد ، والأحد لا يدخل فيه ، فإذا قلت : لا يقاومه واحد ، جاز أن يقال : لكنه يقاومه اثنان ، بخلاف قولك : لا يقاومه أحد (١) .

ولإعادة لفظ الجلالة : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ . اللَّهُ الصَّمَدُ ﴾ والتصريح به عمل رائق لا يتأتى للكناية « ففيه من الحسن والبهجة ، ومن الفخامة والنبل ما لا يخفى موضعه على بصير » (٢) .

* * *

سورة الفلق :

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ . مِن شَرِّ مَا خَلَقَ . وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ . وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ . وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ .

---

(١) فتح القدير ، جـ٥ ، ص٦٩٧ .

(٢) دلائل الإعجاز ، ص١٢٠ .

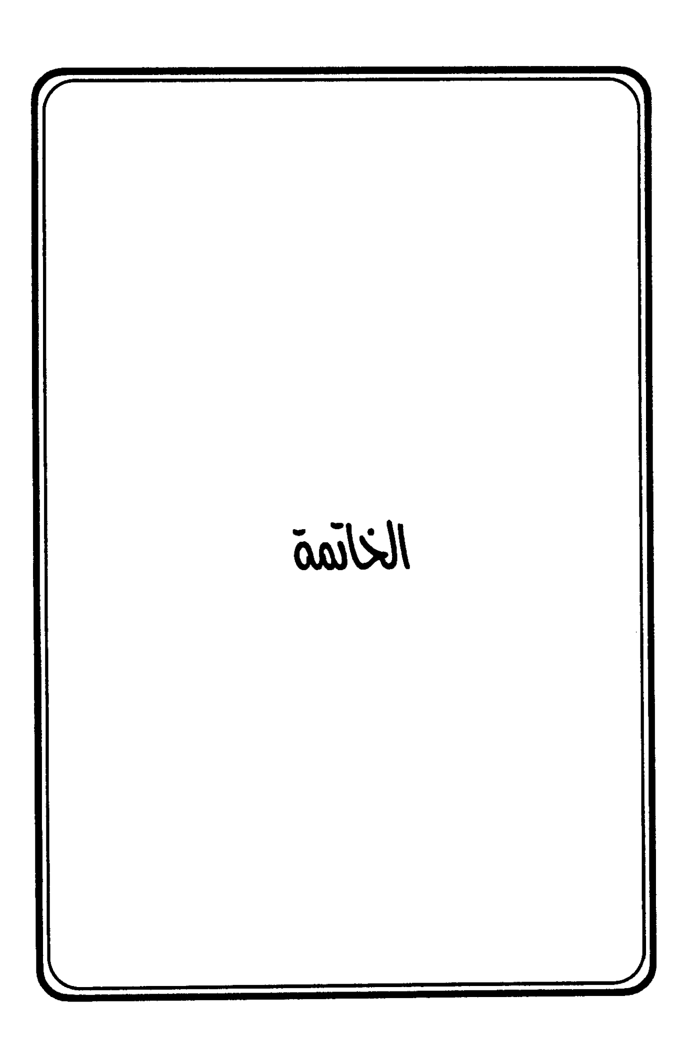
فقوله تعالى: ﴿ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾ يتجانس معنويا مع قوله : ﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾ أى : الليل إذا أقبل بظلامه (١) ، ويتجانس معنويا مع قوله : ﴿وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴾ يعنى : السواحر ، ويتجانس معنويا مع قوله : ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ .

وقد ذكر الله سبحانه فى هذه السورة إرشاد رسوله ﷺ إلى الاستعاذة من شر كل مخلوقاته على العموم ، ثم ذكر بعض الشرور على الخصوص مع اندراجه تحت العموم لزيادة شره ، ومزيد ضره ، وهو الغاسق ، والنفاثات ، والحاسد ، فكان هؤلاء لما فيهم من مزيد الشر أحق بإفراد كل واحد منهم بالذكر (٢) .

ومن البلاغة القرآنية أنه قد أتى بالأسلوب متباينا بين :التنكير ـ كما فى قوله: (غاسق ـ حاسد)،والتعريف ـ كما فى قوله:﴿ النَّفَّاثَات ﴾،وقد عرف ﴿ النَّفَّاثَات ﴾ لأن « كل نفاثة شريرة ، ونكر غاسق ؛ لأن كل غاسق لا يكون فيه الشر ، إنما يكون فى بعضه دون بعض ، وكذلك كل حاسد لا يضر ، ورب حسد محمود ، وهو الحسد فى الخيرات . ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: « لا حسد إلا فى اثنتين » متفق عليه (٣) .

* * *

(١) مختصر ابن كثير ، جـ٣ ، ص٦٩٥ .
(٢) فتح القدير ، جـ٥ ، ص٧٠٥ .
(٣) الكشاف ، جـ٤ ، ص٨٢٢ .



الخاتمة

الخاتمة

لقد كان الجناس مظهرا من مظاهر الإعجاز القرآنى ، وقد أدى دورا بارزا فى إبراز المعانى المختلفة والمشاهد المتنوعة ، فارتفع صوته واشتد إيقاعه حينا ، وكان هادئا وئيدا حينا آخر . . كان شديد الوقع والإيقاع فى تصوير مشاهد النار والقيامة والكافرين ، وكان هادئا فى تصوير مشاهد الجنة والنعيم وأهل الإيمان ، وأدى دورا بارزا فى تصوير المشاهد الحركية والصوتية ومشاهد الطبيعة ، فكان لونا بلاغيا أساسيا فى لوحات فنون التصوير ، ولم يكن ترفا أو زخرفا يمكن الاستغناء عنه ، بل لم يقل أهمية عن الفنون البلاغية الأخرى .

وقد يأتى أكثر من نوع للجناس فى كلمة واحدة ، مما يؤدى إلى زيادة الإثارة الذهنية وقوة الإيقاع الصوتى،كالجناس الناقص المضارع بين:(مسنون ـ السموم) ، وذلك فى قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ . وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ ﴾ [الحجر : ٢٦ ـ ٢٧] .

وكالجناس المحرف اللاحق بين : (يملك ـ يهلك) فى قوله تعالى : ﴿ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ [المائدة : ١٧]

هذا ولم يكن الوقوف عند أنواع الجناس أو استقصائها هدفا فى ذاته ، وإنما كان الهدف هو الوقوف عند إعجاز الجناس وتبين أسراره الفنية ، فليس « من فضل ومزية إلا بحسب الموضع ، وبحسب المعنى الذى تريد والغرض الذى تؤم ، وإنما سبيل هذه المعانى سبيل الأصباغ التى تعمل منها الصور والنقوش »[(١)] .

والجناس والمعنوى لا يقل أهمية عن الجناس اللفظى، فهو باب واسع المجال،

(١) دلائل الإعجاز ، ص٧١ .

يعمل على إثراء المعنى وإثارة النفس ، ويتشابه مع بعض مظاهر الإطناب ، فيكثر مجيئه فى مواضع البدل والتأكيد والتوضيح والتفصيل بعد الإجمال والجمل التفسيرية وبعض مواضع الصفة والحال .

ثبت المراجع

ثبت المراجع

- القرآن الكريم .

١ - الآمدى - الموازنة بين شعر أبى تمام والبحترى - تحقيق : السيد أحمد صقر - القاهرة - دار المعارف - ط٢ - ١٩٧٢ .

٢ - ابن الأثير - المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر - بتحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد - بيروت - المكتبة العصرية - ١٩٩٥ .

٣ - أحمد الشايب - الأسلوب - القاهرة - مكتبة النهضة المصرية - ط٨ - ١٩٨٨ .

٤ - الألوسى - روح المعانى - القاهرة - دار التراث - بدون تاريخ .

٥ - الباقلانى - إعجاز القرآن - القاهرة - مطبعة الحلبى - ط١ - ١٩٧٨ .

٦ - الثعالبى - فقه اللغة وسر العربية - تحقيق: املين نسيب - بيروت - دار الجيل - ط١ - ١٩٩٨ .

٧ - الجاحظ - البيان والتبيين - تحقيق : عبد السلام هارون - بيروت - دار الجيل .

٨ - ابن جرير الطبرى - جامع البيان فى تفسير القرآن - بيروت - دار المعرفة - ط٢- ١٩٧٢ .

٩ - القاضى الجرجانى - الوساطة بين المتنبى وخصومه - تحقيق وشرح : محمد أبو الفضل إبراهيم وعلى محمد البجاوى - القاهرة - عيسى الحلبى - بدون تاريخ .

١٠ - جلال الدين السيوطى وجلال الدين المحلى - تفسير الجلالين - مراجعة : الأستاذ مروان سوار - بيروت - دار المعرفة - بدون تاريخ .

١١ - ابن حجر العسقلانى - فتح البارى بشرح صحيح البخارى - مراجعة وتحقيق: محب الدين الخطيب وقصى محب الدين الخطيب ومحمد فؤاد عبد الباقى - القاهرة - دار الريان للتراث - ط١ - ١٩٨٧ .

١٢ ـ الحسن بن عثمان المفتى ـ خلاصة المعانى ـ تحقيق ودراسة : د. عبد القادر حسين ـ القاهرة ـ دار الاعتصام ـ ١٩٩٣ .

١٣ ـ د . حفنى محمد شرف ـ الصور البديعية بين النظرية والتطبيق ـ القاهرة ـ مكتبة الشباب ـ ط١ ـ ١٩٦٦ .

١٤ ـ أبو حيان ـ تفسير البحر المحيط ـ القاهرة ـ دار الفكر ـ ط٢ ـ ١٩٨٣ .

١٥ ـ الخطيب القزوينى ـ الإيضاح فى علوم البلاغة ـ بيروت ـ دار الجيل ـ بدون تاريخ .

١٦ ـ ابن رشيق ـ العمدة فى محاسن الشعر وآدابه ونقده ـ تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد ـ بيروت ـ دار الجيل ـ ط٥ ـ ١٩٨١ .

١٧ ـ الزركشى ـ البرهان فى علوم القرآن ـ تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ـ القاهرة ـ دار التراث ـ ط٢ ـ بدون تاريخ .

١٨ ـ ابن سنان الخفاجى ـ سر الفصاحة ـ بيروت ـ دار الكتب العلمية ـ ط١ ـ ١٩٨٢ .

١٩ ـ سيد قطب ـ فى ظلال القرآن ـ القاهرة ـ دار الشروق ـ ط٢٥ ـ ١٩٩٦ .

٢٠ ـ سيد قطب ـ مشاهد القيامة فى القرآن ـ القاهرة ـ دار الشروق ـ ط١٢ ـ ١٩٩٣ .

٢١ ـ سيد قطب ـ التصوير الفنى فى القرآن ـ القاهرة ـ دار الشروق ـ ط١٤ ـ ١٩٩٣ .

٢٢ـ سيد قطب ـ النقد الأدبى ، أصوله ومناهجه ـ القاهرة ـ دار الشروق ـ ط٦ ـ ١٩٩٠.

٢٣ ـ د. شوقى ضيف ـ تفسير سورة الرحمن وسور قصار ـ القاهرة ـ دار المعارف ـ ١٩٨٠ .

٢٤ ـ الشوكانى ـ فتح القدير ـ تحقيق :د. عبد الرحمن عميرة ـ المنصورة ـ دار الوفاء ـ ط٢ ـ ١٩٩٧ .

٢٥ ـ الطبرسى ـ مجمع البيان فى تفسير القرآن ـ بيروت ـ دار مكتبة الحياة ـ بدون تاريخ .

٢٦ ـ د. عائشة عبد الرحمن ـ التفسير البيانى للقرآن ـ القاهرة ـ دار المعارف ـ ط٣ـ ١٩٧٧ .

٢٧ ـ د. عبد الفتاح عثمان ـ دراسات فى المعانى والبديع ـ القاهرة ـ مكتبة الشباب ـ بدون تاريخ .

٢٨ ـ د. عبد القادر حسين ـ فن البديع ـ القاهرة ـ دار الشروق ـ ط١ ـ ١٩٨٣ .

٢٩ ـ د. عبد القادر حسين ـ المختصر فى تاريخ البلاغة ـ القاهرة ـ دار الشروق ـ ط١ ـ ١٩٨٢ .

٣٠ ـ عبد القاهر الجرجانى ـ أسرار البلاغة ـ تعليق : محمود شاكر ـ القاهرة ـ مطبعة المدنى ـ ط١ ـ ١٩٩١ .

٣١ ـ عبد القاهر الجرجانى ـ دلائل الإعجاز ـ تعليق : محمود شاكر ـ مكتبة الخانجى ـ بدون تاريخ .

٣٢ ـ عبد الكريم الخطيب ـ إعجاز القرآن ـ القاهرة ـ دار الفكر العربى ـ ط١ ـ ١٩٦٤ .

٣٣ـ عبد المتعال الصعيدى ـ بغية الإيضاح ـ القاهرة ـ مكتبة الآداب ـ ط٧ ـ ١٩٩١.

٣٤ ـ الفخر الرازى ـ التفسير الكبير ـ بيروت ـ دار إحياء التراث العربى ـ ط١ ـ ١٩٩٥ .

٣٥ ـ القرطبى ـ الجامع لأحكام القرآن ـ القاهرة ـ دار الكتب المصرية ـ ط٢ ـ ١٩٤٢ .

٣٦ ـ ابن كثير ـ تفسير القرآن العظيم ـ اختصار وتحقيق : محمد على الصابونى ـ بيروت ـ دار القرآن الكريم ـ ط٧ ـ ١٩٨١ .

٣٧ ـ د. محمد أبو موسى ـ خصائص التراكيب ـ القاهرة ـ مكتبة وهبة ـ ط٤ ـ

. ١٩٩٦

٣٨ ـ د. محمد سالم محيسن ـ المستنير فى تخريج القراءات المتواترة ـ بيروت ـ دار الجيل ـ ط١ ـ ١٩٨٩ .

٣٩ ـ محمد على الصابونى ـ صفوة التفاسير ـ بيروت ـ دار القلم ـ ط٥ ـ ١٩٨٦ .

٤٠ ـ محمد فؤاد عبد الباقى ـ اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ـ القاهرة ـ دار الحديث ـ ط٣ ـ ١٩٩٧ .

٤١ ـ محمد فؤاد عبد الباقى ـ معجم غريب القرآن ـ القاهرة ـ دار إحياء الكتب العربية ـ بدون تاريخ .

٤٢ ـ محمود بن عمر الزمخشرى ـ تفسير الكشاف ـ القاهرة ـ دار الريان للتراث ـ ط٣ ـ ١٩٨٧ .

٤٣ ـ محيى الدين الدرويش ـ إعراب القرآن الكريم وبيانه ـ دار اليمامة وابن كثير ـ دمشق ـ بيروت ـ ط٧ ـ ١٩٩٩ .

٤٤ ـ مصطفى صادق الرافعى ـ إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ـ القاهرة ـ مطبعة الاستقامة ـ ط٤ ـ ١٩٤٥ .

٤٥ ـ ابن منظور ـ لسان العرب ـ تهذيب المكتب الثقافى لتحقيق الكتب ـ بيروت ـ دار الكتب العلمية ـ ط١ ـ ١٩٩٣ .

٤٦ ـ أبو هلال العسكرى ـ الصناعتين ـ تحقيق : د. مفيد قميحة ـ بيروت ـ دار الكتب العلمية ـ ط٢ ـ ١٩٨٩ .

٤٧ ـ أبو هلال العسكرى ـ الفروق اللغوية ـ بيروت ـ دار الآفاق الجديدة ـ ط١ ـ ١٩٧٣ .

فهرست الموضوعات

فهرست الموضوعات

رقم الإيداع : ١٠٠١٧/ ٢٠٠٠م